



المشوق إلى القرآن

التدبر: تجربة تخوضها، ونعيم تتذوقه،
ومهما أخبروك عنه فلا بد أن تحياه بنفسك!



مِرْقَاة لثقافة مؤصّلة
MA3ARIJ.COM

عمرو الشرقاوي

الطبعة الثانية

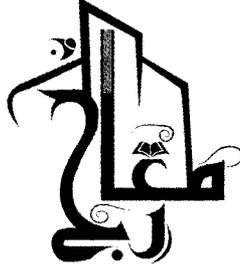


المشوق إلى القرآن

التدبير: تجربة تخوضها، ونعيم تتذوقه،
ومهما أخبروك عنه فلا بد أن تحياه بنفسك!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(IV)



مِرْقَاة لِّلثَقَاةِ مَوْصَلَةَ
MABARIJ.COM

المشوق إلى القرآن

التدبير: تجرّبة تخوضها، ونعيم تتذوقه،
ومهما أخبروك عنه فلا بد أن تحياه بنفسك!

عمرو الشرقاوي



المشوق إلى القرآن
التدبير: جربة تخوضها، ونعيم تتذوقه،
ومهما أخروك عنه فلا بد أن تحياه بنفسك

عمرو صبحي الشرفاوي

الترقيم الدولي: 978-977-6539-03-7

قياس الصفحة: ٢٤×١٧ سم

عدد الصفحات: ١٧٦ ص

الطبعة الثانية

(٢٠١٦م / ١٤٣٧هـ)

حَقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه
بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة،
والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الصور
إلا بإذن خطي من مركز تفكير للبحوث والدراسات



هاتف: ٠٢٠١٠٩٠٨٢٦٦٤

بريد إلكتروني: tfakkor@gmail.com

الموقع: www.tfakkor.com



هاتف: ٠٢٠١٠٠٥٢٦٤٠٤

طلبات الشراء البريدية
الرجاء الاتصال على:
٠٢٠١٠٩٠٢٩٨٢٣٥
Kotobgy@gmail.com

طبع في
مركز تفكير للبحوث والدراسات
الجوال / ٥٢٣ ١١٠ ٥٢٣ ٠٩٦٦

زيت القرآن براقاً قابل للاشتعال، فإن اشتعل = فالخير لك!

فقط: افرك الحجر، أو اقدح الكبريت.

للقرآن أسرار .. لا تظهر إلا بطول المصاحبة!

«وإنه لكتاب عزيز».

من لم يكابد حقائق القرآن لهيباً = يحرق باطن الإثم من نفسه،

فلا حظاً له من نوره!

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٩
وإنه لكتاب عزيز	١٣
مقدمات أساسية في تاريخ القرآن العزيز	٢٣
قبل البدء: تداوي . . . طب مجرب، وطبيب خريت!	٢٩
تعاهدوا القرآن	٣٣
وأن أتلو القرآن!	٤٧
من أراد العلم . . فليثور القرآن	٥٧
أن تجعل القرآن ربيع قلبي	٦٧
مجالس النور	٧١
والقرآن حجة لك أو عليك!	٨١
إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً	٨٣
لو طهرت قلوبكم ما شبت من كلام الله!	٩٣
أفياء	١٣١
ملاحق	١٥٩

- الملحق الأول: علم التفسير وسؤال المنهجية ١٦١
- الملحق الثاني: منهج في علوم القرآن وأصول التفسير ١٧٠
- معالمٌ ومنازل في كتب التفسير وعلوم القرآن للمعاصرين ١٧٣
- خاتمة ١٧٦

مُقَدِّمَةٌ

هذه أوراق متناثرة كتبت في أزمان متباعدة، بعضها وليد بحث، والآخر وليد خاطرة، غايتها تشويق الأنام إلى كلام الملك العلام، كتاب الله المجيد ذي الذكر، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد. هذه رسالة إلى كل محب للكتاب ليزداد حبًا، وإلى كل مبتعد ليزداد قربًا.

وما غرض هذا الكتاب إلا بعث الشوق في نفس القارئ ليقبل على كتاب الله تعالى، وقد ذكرت فيه من كلام أهل العلم، وحال السلف الكرام ما يبعث الهمة، ويقرب المسافة بيننا وبين الكتاب المحفوظ.

ونحن في هذا الزمان أحوج ما نكون لهذا القرآن، إن القرآن شفاء لما في الصدور، شفاء لما في الصدور من شهوات وشبهات، ففيه من اليبينات ما يزيل الحق من الباطل، فيزيل أمراض الشبهة المفسدة للعلم والتصور والإدراك؛ بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه.

وفيه من الحكمة والموعظة الحسنة بالترغيب والترهيب والقصص التي فيها عبرة؛ ما يوجب صلاح القلب، فيرغب القلب فيما ينفعه، ويرغب عما يضره، فيبقى القلب محبًا للرشاد مبغضًا للغي، بعد أن كان مريدًا للغي مبغضًا للرشاد.

وإن أحق ما توهب له الأعمار كتاب الله!

وفي مثلٍ بليغ حق بليغ: أن نملة انطلقت في طريقها، عاقدةً عزمها على حج

بيت الله من أقصى الأرض! فليل لها: «كيف تدرकिन الحج وإنما أنت نملة؟ إنك ستموتين قطعاً قبل الوصول!» قالت: «إذن أموت على تلك الطريق!..»

وإن القرآن لهو بحق مشروع العمر، وبرنامج العبد في سيره إلى الله حتى يلقى الله! وما كان تنجيم القرآن، وتصريف آياته على مدى ثلاث وعشرين سنة، إلا خدمة لهذا المقصد الرباني الحكيم!

إن نور القرآن لا يمتد شعاعه إلى الآخرين؛ إلا باشتعال قلب حامل كلماته، وتوجهه بحقائقه الإيمانية الملهبة!

فيا شباب الأمة وأشبالها! هذا كتاب الله ينادي!.. وهذه الأمة تستغيث!.. فمن ذا يبادر لحمل الرسالة؟ من ذا يكون في طليعة السفراء الربانيين، الحاملين لرسالات هذا الدين، إلى جموع التائهين والمختارين هنا وهناك؟.. من يفتح صدره لنور القرآن، فيقدح به أشواق العلم بالله والمعرفة به؟ عساه ينال شرف الخدمة في صفوف الإغاثة القرآنية، والإنقاذ لملايين الغرقى في مستنقعات الشبهوات والشبهات؟ من يمد إلى رسول الله ﷺ يداً غير مرتعشة؛ فيبايعه على أخذ الكتاب بقوة؟ ويقبض على جمر هذا الإرث الدعوي العظيم: رسالات القرآن؟ من يقول: «أنا لها يا رسول الله!» فيقوم بحقها ويقي بعهدتها؟ ثم ينخرط في مسلك بلاغات الوحي، سيراً على أثر الأنبياء والصدّيقين: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]. فهل من عبد -حقاً عبد لله- يجعل حياته وقفاً على دين الله، يتلقى كلمات الله، ويبلغ رسالاته! عسى أن يتحقق بولاية الله؛ فيفتح الله له، وعلى يديه! ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]^(١).

(١) هذه رسالات القرآن، للشيخ الأستاذ: فريد الأنصاري.

وفي ختام هذه المقدمة، أسأل الله ﷻ أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن ينفع به، وأسأله أن يجزي كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب على هذه الصورة خير الجزاء، وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور أبصارنا، وأن يرضى عنا، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كتبه ورجاه، وحرره خجلاً

عمرو صبحي علي الشرقاوي

"amr.alsharqawi@gmail.com"

"@AmrAlsharqawi"

وإنه لكتاب عزيز

كان الفضيل بن عياض شاطرًا [سارقًا] يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ . . . [الحديد: ١٦]. فلما سمعها، قال: بلى يا رب، قد آن!

فرجع، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة [قوم يمرون من هذا الطريق]، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا. قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين ها هنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت تويتي مجاورة البيت الحرام.

هذه قصة توبة بسبب آية من كتاب الله، وبداية لفتح علاقة جديدة مع القرآن امتدت مع الفضيل بن عياض حتى مات، بل وورثها ولده قتيل القرآن علي بن الفضيل^(١)!

* إن القرآن هو كلام الله الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز.

إن القرآن يستمد مجده، وعلو شأنه ورفعته، من عظمة وجلال من تكلم به، وهو الله ﷻ.

(١) سير أعلام النبلاء: (٨/٤٢٣).

ولا يليق بنا أن نبتعد عن مصدر الهدى والمجد كتاب الله ذي الذكر، فلا بد أن نتصالح مع القرآن، إننا حينما نعلن هذا التصالح، ونسير في الطريق إليه، فنحن حقاً نسير في طريق إعادة التوازن والسكينة إلى الروح التي تسكن الأجساد!، وهذا أول طريق الإصلاح.

• وأول طريق التصالح مع القرآن أن تتحايل على نفسك بالإكثار من تلاوة القرآن، تلاوة لا كالتلاوات السابقة، تلاوة لا تنتظر فيها موعداً، تلاوة لا تشغل فيها بغير القرآن، إن القرآن كتاب عزيز لا بد أن تعطيه أنفس ما تملك من أوقات، فأقبل عليه وإياك أن تبخل، ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه!

ولا بد أن تتخير أوقات التلاوة، وأجلها وقت اجتماع القلب!

• إن لحزب الليل، وترتيل الكتاب في وقت اجتماع القلب = لقصة أخرى، إن مما نعانيه من هذه المادية الطاغية قلب حقائق الكون، إن الليل ليل، والنهار نهار، فلنتخل أيها السالك بكتاب ربك في ظلمة الليل، ولتقرأ ما تحفظه، ولتثور القرآن، لتكن من الأمة القائمة التي تلو كتاب ربها آناء الليل، فتسجد لمن هذا الكلام كلامه، فتقترب!.

• وثاني الطرق للتصالح، فهم القرآن، إن الإنسان لن يلتذ بكلام لا يفهم معانيه، ولذا حث الله تعالى على تفهم القرآن، وإدراك حقائقه، ولا شك أن القلوب الحية تجري في مضمار المعاني القرآنية.. والقلوب المكبلة بالخطايا ما زالت تزحف في الخطوط الأولى!

ولكن ... لا تيأس ...

مهما استمعت إلى القرآن أو قرأته فأنت أخذ في الاهتداء بتقنية المحل، وتبديد ظلمته واستبدال النور به، وتخليته من الران الذي أكسبته إياه بنفسك!

حتى إذا نقيت المحل وطهرته؛ كان الاهتداء بالقرآن بزيادة نور القلب، فيحصل

التلذذ التام بحصول النور التام، ويحصل الاهتداء التام بعد زوال أثر المعصية
زوالاً تاماً!

لكن أكثر الناس لا يعي أنه بحاجة إلى مجاهدة طويلة وصبر حتى يزول أثر الغفلة
والذنب من قلبه، ثم يستمتع بالقرآن والصلاة!
والفقيه حقاً من يعي ذلك، ثم يجاهد نفسه لإصلاح المحل، وتنقيته، مهما طال
به الزمان.

فاحرص أن تفقه القرآن، ولو عبر كتاب مختصر من كتب التفسير، لتكون من
أولي الألباب.

• ومن طرق التصالح مع القرآن أن تعقد مع من تحب مجالس المدارس، تلك
المجالس التي يجلس فيها المتدارسون لينهلوا من فيض النور الذي يتلى في
المكان، «... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله،
ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة،
وذكرهم الله فيمن عنده...».

وفي هذه المجالس تظهر حقائق القرآن، ومن لم يكابد حقائق القرآن لهيباً يحرق
باطن الإثم من نفسه، فلا حظ له من نوره!

• إننا نحتاج إلى قوم يستجيبون لنداء الله، ويسلكون مسلك رسول الله،
فيدخلوا في ابتلاءات القرآن المجيد؛ تخلقاً بأخلاقه، وتحققاً بمنهاجه، وتلقياً
لرسالاته، ثم بلاغها إلى سواد الأمة عبر مجالس القرآن ومدارسه، تدبراً وتفكيراً!
فلنبداً صحبة جديدة مع القرآن عسى أن نكون من أهله الذين هم أهل الله وخاصته.

• مثل!

إن أهم فصل في تعريف القرآن المجيد هو أنه: «كلام الله رب العالمين!».
وما كان لكلام الحي الذي لا يموت أن يبلى أو يموت! ولكن الذي يموت هو
شعورنا نحن! والذي يبلى هو إيماننا نحن!

أما الوحي فهو عين الحياة!

وحقيقة «الوحي» هي أول صفة يجب أن نتلقى بها القرآن الكريم، وهي أهم جوهر يجب أن ننظر من خلاله إلى كلماته؛ بما هي كلمات الله رب العالمين!

ذلك أن كلام الله لا يتنزل على الرسل إلا وحيًا ..

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥١].

وهذا شيء مهم جدًا! فكون القرآن «وحيًا» هو المعراج الرئيس الذي به يرتقي القارئ له إلى سماء القرآنية!

إنه المصطلح المفتاح الذي به يكتشف طبيعة القرآن، ويصير نوره، ويتلقى حقائقه الإيمانية ورسالاته الربانية، ويشاهد شلالات الجمال والجلال، حية متدفقة من منابع القرآن!

إن كون القرآن «وحيًا» ليس معنى تاريخيًا فحسب؛ بل هو معنى مصاحب لطبيعته أبدًا! بمعنى أن صلة القرآن بالسماء هي صلة أبدية ..!

إن المشكلة هي أننا عندما نقرأ القرآن نربط الوحي فيه بذلك الماضي الذي كان! بينما الوحي نور حاضر، وروح حي، يتدفق الآن في كل آيات القرآن، وينبع من تحت كل كلماته، شلالاتٍ من كوثر ثجاج!

لقد قبض رسول الله ﷺ فانقطع الوحي التاريخي، أي انقطع فعل التنزيل الذي كان في الزمان والمكان، بواسطة الملاك جبريل عليه السلام، ولكن بقي الوحي القرآني، أو الوحي/القرآن! والوحي هنا صفة اسمية من أسماء القرآن المجيد، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ﴾ [الأنبياء: ٤٥] وقال سبحانه: ﴿ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيَ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٤].

وإنما سمي القرآن «وحيًا» لأنه نزل كذلك، قال تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَکُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

فالوحي -كما ترى- له دالتان: الوحي الحدث، أي النزول الخفي من السماء، وهو سبب النبوة، وهو الذي انقطع.

والوحي الصفة، وهو لا ينقطع أبداً، وعليه سمي هذا القرآن المجيد «وحياً». وقد يقول قائل هذه حقائق بدهية فلم العناء؟ أقول: نعم؛ ولكننا ننساها فنضل الطريق إلى القرآن!..

وإنما مشكلة أجيالنا المعاصرة أنها أضاعت بدهياتها! حتى صرنا في حاجة إلى إعادة تقرير معنى «الدين» نفسه!

نعم! إن تلقي القرآن بوصفه «وحياً» هو المفتاح الأساس لاكتشاف كنوزه الروحية، والتخلق بحقائقه الإيمانية العظمى!

النور.. تلك هي طبيعة الوحي وصبغته، وصفته الثابتة للقرآن، حقيقة جوهرية لا تنفك عنه.. والنور روح، لكنه روح يسري في كلمات القرآن بخفاء، وإنما المؤمنون وحدهم يبصرون جداوله الرقاقة، وهي تتدفق بالجمال والجلال! ولكن كيف يكون هذا؟

لنعد إلى مثال النجم المذنب!.. إن ذلك النيزك الناري الواقع من السماء إلى الأرض، ما يزال يحتفظ بأسرار العالم الخارجي الذي قدم منه!

إنه فهرست مكنون، لو تدبرته لوجدته يكتنز خريطة الكون كله! ويحتفظ من الأسرار ما عجزت عن إدراكه أحدث مراصد الفلك، وأعقد معادلات الرياضيات، وأحدث نظريات الفيزياء!.. إنه لم يفقد حرارته ولا طاقته قط!

وإنما حجب لهيبه رحمة بالناس، وتيسيراً لهم، وتشجيعاً للسائرين في الظلمات على حمل قنديله الوهاج، والقبض عليه بأصابع غير مرتعشة، بل على احتضانه وضمه إلى القلب، نورا متوهجا بين الجوانح!

إن مثل القرآن ومثل الناس في هذا الزمان، هو كثلاثة مسافرين تاهوا في الصحراء بليل مظلم! صحارى وظلمات لا أول لها ولا آخر!..!

فبينما هم كذلك إذ شاهدوا في السماء نجما مذنبا لاهبا، لم يزل يخرق ظلمات الأفق بنوره العظيم، حتى ارتطم بالأرض!

فافترقوا ثلاثتهم إزاءه على ثلاثة مواقف:

فأما أحدهما: فلم يعر لتلك الظاهرة اهتماما، بل رآها مجرد حركة من حركات الطبيعة العشوائية!

وأما الآخران: فقد هرعا إلى موقع النيزك فالتقطا أحجاره المتناثرة هنا وهناك. . . وكانا في تعاملهما مع تلك الأحجار الكريمة على مذهبين:

فأما أحدهما: فقد أعجب بالحجر؛ لما وجد فيه من جمال وألوان ذات بريق، وقال في نفسه:

لعله يستأنس به في وحشة هذه الطريق المظلمة، ثم دسه في جرابه وانتهى الأمر!
وأما الآخر: فقد انبهر كصديقه بجمال الحجر الغريب! وجعل يقلبه في يده، ويقول في نفسه: لا بد أن يكون هذا المعدن النفيس القادم من عالم الغيب يحمل سرا! لا يجوز أن يكون وقوعه على الأرض بهذه الصورة الرهيبة عبثا! كلا كلا! لا بد أن في الأمر حكمة ما! ثم جعل يفرك حجرا منه بحجر، حتى تطاير من بين معادنه الشرر. . .! وانبهر الرجل لذلك؛ فازداد فركا للحجر، فازداد بذلك توهج الشرر. . .

وجعلت حرارة معدنه تشتد شيئا فشيئا؛ حتى وجد ألم ذلك بين كفيه! بل جعلت الحرارة الشديدة تسري بكل أطراف جسمه، وجعل الألم يعتصر قلبه، ويرفع من وتيرة نبضه. . .! لكنه صبر وصابر، فقد كان قلبه -رغم الإحساس بالألم والمعاناة- يشعر بسعادة غامرة، ولذة روحية لا توصف! . . . وما هي إلا لحظات حتى تحول الحجر الكريم بين يديه إلى مشكاة من نور عظيم!

ثم امتد النور منها إلى ذاته، حتى صار كل جسمه سبيكة من نور، وكأنه ثريا حطت سرجها ومصاييحها على الأرض! وجعل شعاع النور يفيض من قلبه الملهب

فيعلو في الفضاء، ويعلو، ثم يعلو، حتى اتصل بالسماء! ..

كان الرجل يتتبع ببصره المبهور حبل النور المتصاعد من ذاته نحو السماء، حتى إذا اتصل بالأفق الأعلى تراءت له خارطة الطريق في الصحراء! واضحة جلية، ليها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك! ووقع في قلبه من الفرح الشديد ما جعله يصرخ وينادي صاحبيه معا: أخوي العزيزين! .. هلما إلي! .. إلي! لقد وجدت خارطة الطريق! .. لقد من الله علينا بالفرج! .. أخوي العزيزين! .. انظرا انظرا! .. هذا مسلك الخروج من الظلمات إلى النور! شاهدوا شعاع النور المتدفق من السماء ..

إنه يشير بوضوح إلى قبلة النجاة! .. فالنجاة النجاة!

أما الذي احتفظ بقطعة من الحجر في جرابه فلم يتردد في اتباع صاحبه والاقتران بهديه؛ لأنه كان يؤمن بأن لهذا المعدن الكريم سرا!

ولقد أبصر شعاعه ببصيرة صاحبه، لا ببصيرة نفسه!

وأما الأول الذي لم ير في النجم الواقع على الأرض شيئا ذا بال؛ فإنه رغم نداء صاحبه له لم يبصر شيئا من أمر الشعاع المتدفق بالهدى! لقد كان محجوبا باعتقاده الفاسد، فلم تعكس مرآة قلبه الصدئة نورا! ولذلك لم يصدق من نداء صاحب النور شيئا من كلامه، بل اتهمه بالجنون والهديان! ومضى وحده يخبط في الصحراء، ضاربا في تيه الظلمات!

﴿وَمَنْ لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ثم انطلق الرجلان المهتديان يسيران في طريق النور .. وإنما هما تابع ومتبوع، فالمتبوع داعية يرى بنور الله .. ويسير على بصيرة من ربه؛ بما كابد من نار الحجر وشاهد من نوره! والثاني مؤمن بالنور مصدق بدعوة صاحبه، يسير على خطاه وهديه ..

ولكنه يكابد في سيره عثرات من حين لآخر وهنأت؛ وذلك بسبب ما يلقي إليه الشيطان من وساوس ومخاوف!

وليس لديه ما يدفع به كيد الشيطان إلا ما يتلقى عن صاحبه! وبينما هما كذلك يسيران مطمئنين في طريقهما، إذسأل الرجل التابع صاحبه المتبوع فقال:

أناشذك الله أن تخبرني كيف اكتشفت سر النور في هذا الحجر الكريم! لكن صاحب النور وجد أن اللغة عاجزة عن بيان حقيقة النور لصاحبه، فما كان منه إلا أن دس قطعة من الحجر الذي كان بين يديه في كف السائل؛ فصرخ الرجل من شدة حر الحجر الكريم والتهابه! وجعل يقلبه بين يديه ثم ألقاه بسرعة في كف صاحبه! لكن صاحب النور قبض عليه بيد ثابتة مطمئنة! فعجب منه رفيقه وقال: إنما أنت قابض على الجمر!

قال: نعم، هو كذلك! إنه القبض على الجمر! لكن لذة الروح بما يشاهد القلب من نور، وبما يجد من سعادة غامرة؛ ترفع عن الجسد الشعور بالألم، وتمنع حدوث الاحتراق! وإن نار الشوق والإيمان لهي أقوى ألف مرة ومرة من نار الكفر والفسوق والعصيان!

ولو وقعت الأولى على الثانية؛ لجعلتها سلامًا وأمانًا على قلب العبد المؤمن! ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَبْنَؤُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

نعم يا رفيقي في طريق النور! إن مكابدة القرآن في زمان الفتن، والصبر على جمره اللأهيب في ظلمات المحن؛ تلقياً، وتركياً، وتدارساً، وسيراً به إلى الله في خلوات الليل؛ هو وحده الكفيل بإشعال مشكاته، واكتشاف أسرار وحيه، والارتواء من جداول روحه، والتطهر بشلال نوره. . . النور المتدفق بالحياة على قلوب المحبين، فيضاً ربانيا نازلاً من هناك، من عند الرحمن، الملك الكريم الوهاب!

فتدبر يا صاح هذا المشهد القرآني الجليل! في بيان حقيقة تلقى محمد ﷺ للوحي عن الملك العظيم جبريل ﷺ، حيث تلقى عنه ما تلقى من قرآن كريم، وحيًا من الله رب العرش العظيم، وشاهد ما شاهد خلال ذلك من حقائق إيمانية، ومنازل روحانية، ضاربة في عمق الغيب الأعلى!

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ الْمَوْتَىٰ ۝٣ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَسْمُرُونَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَنْشَىٰ الْمِيدَةَ مَأْشُورَىٰ ۝١٦ مَا نَأَىٰ الْعَبْرُ وَمَا لَمَعَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١-١٨].

ذلك هو القرآن الوحي! إنه حجر كريم، بل إنه نجم عظيم وقع على الأرض! ولم يزل معدنه النفيس يشتعل بين يدي كل من فكره بقلبه، وكابده بروحه، تخلفًا وتحققًا! حتى يرتفع شعاعه عاليًا، عاليًا في السماء، دالًا على مصدره وأصله، هناك بموقعه الأعلى في مقام اللوح المحفوظ! ومشيرًا من علُّ بيرقه العظيم إلى باب الخروج...! فهنيئًا لمن تمسك بحبله، واتصل قلبه بتياره، وتزود من رقراق أسراره، ثم مشى على الأرض في أمان أنواره!

نعم! ذلك هو القرآن الوحي، الذي يصل قارئه وحيًا بملأ السماء مباشرة... من أول كلمة يقرؤها! فإذا به يطل على عالم الشهادة من شرفات عالم الغيب! بصائر قرآنية واضحة ومشاهدات، لا يضام في حقائقها شيئًا! بصائر ومشاهدات لا تلبس فيها ولا تدليس، ولا خرافة ولا تخرصات! وإنما هو نور الفرقان! قال جل جلاله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام: ١٠٤]

وقال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنقُتُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

نعم! ذلك هو القرآن الوحي! .. فمن يفرك جمره؟ ومن يقتبس من حر آياته نوره؟ فعسى أن يترقى في معرجه إلى مقام الروح الأعلى! وعساه يكون بذلك من المبصرين؛ فيشاهد خارطة الطريق! ..

أيها القابضون على الجمر! ..

أيها المراقبون لنيزك السماء! ..

إنه وحيي .. فَتَعَرَّضُوا لَهُ!

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[آل عمران: ٢٠٠].

ذلك، وإنما الموقِّق من وفقه الله .. (١)!

(١) هذه رسالات القرآن، للأستاذ الشيخ: فريد الأنصاري، وهو كتاب نفيس -على صغر

مقدمات أساسية

في تاريخ القرآن العزيز

وإن كتابَ الله أوثقُ شافعٍ وأغنى غناءً واهبًا متفضلاً
وخيرُ جليسٍ لا يملُّ حديثه وتردأه يزدادُ فيه تجملاً

لا يخفى على القارئ الكريم ما لتاريخ القرآن المجيد من أهمية كبرى تتمثل في تثبيت المؤمن على إيمانه، ورد الشاك عن شكه، ولن أطيل في هذه المقدمة، لأدخل إلى أصل الموضوع، وهو عبارة عن مقدمات وصفية لتاريخ القرآن المجيد، هدفها كسر قشرة عدم التصور لمراحل نقل القرآن المجيد، إلى عصر استقرار القراءات.

المقدمة الأولى: تعريف القرآن

القرآن هو: كلام الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه.

ومما ينبغي الانتباه إليه في تعريف القرآن، أنه قد زيد فيه عبر التاريخ ما زيد، فلم يكن الصدر الأول بحاجة في تعريف القرآن بأنه غير مخلوق -مثلاً-، إذ لم يكن هذا الاعتقاد قد ظهر بعد، فلما ظهر زيد في التعريف، ولا حرج منه!

وهناك فروق متعددة بين القرآن وغيره من الكتب، ومنها:

١- أن الله تعالى قد تكفل بحفظ القرآن بخلاف غيره من الكتب، قال تعالى في

شأن القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، أما غيره من الكتب

فكما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّحِيمُونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤].
لذا فإن القرآن المجيد لا يتطرق إليه التحريف اللفظي، أما التحريف المعنوي (تحريف المعاني) فقد وقع.

٢- تيسير حفظه وتلاوته، بخلاف غيره من الكتب السابقة.

المقدمة الثانية: القرآن الكريم في العهد المكي

كان أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ خمس آيات من أول سورة العلق، ثم فتر الوحي، ونزلت أوائل سورة المدثر، وتتابع نزول القرآن على النبي ﷺ فيما عُرف بعدُ بالقرآن المكي، وهو ما نزل قبل الهجرة.
وكان النبي ﷺ يعلم أصحابه القرآن في مكة، وكان بعضهم يكتب القرآن.

المقدمة الثالثة: القرآن الكريم في العهد المدني

لما نزل النبي ﷺ المدينة وأقام المسجد، كانت تلاوة القرآن من الأمور المشهورة المنتشرة، وهناك مظاهر كثيرة للاعتناء النبوي بإيصال القرآن إلى الصحابة، ومن ذلك:

- ١- إسماعهم القرآن في الصلاة، والخطب، بل إن بعضهم أخذوا بعض السور من كثرة ترداد النبي ﷺ لها في الجمعة كسورة (ق والقرآن المجيد).
 - ٢- ترتيب الأجر على تلاوة القرآن عامة، وبعض السور خاصة، كالزهاوين.
 - ٣- الأخذ الخاص على النبي ﷺ، كقراءة ابن مسعود عليه، وقراءة زيد.
- وقد كان النبي ﷺ هو المرجع في الاختلاف، لذا لم يكن ثم خلاف في القرآن، بل لما حصل خلاف في الأحرف، زال بالرجوع إلى النبي ﷺ، وهناك آثار مشهورة في هذا الموضوع.
- ٤- وظهرت آثار هذه العناية على الصحابة، فكان ابن مسعود، يقول في

بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: «إنهن من العتاق الأول، وهن من تلاميذ». أي: من محفوظي القديم.

بل ظهرت طبقة خاصة سُموا فيما بعد بالقراء، وهم الذين استحر بهم القتل في اليمامة، فجمع الصديق القرآن كما سيأتي.

وفي هذه الفترة ظهرت طبقة كتاب الوحي، فكان النبي ﷺ إذا نزل شيء من القرآن دعا كاتبًا من كتاب الوحي فكتب له.

ومن كتاب الوحي: (عثمان بن عفان - علي بن أبي طالب - أبي بن كعب - زيد ابن ثابت - معاوية بن أبي سفيان).

وكان الصحابة يكتبون القرآن في الأدوات المتاحة لهم، كاللخاف، والرقاع، والأقتاب، والأكتاف^(١).

وخلاصة القول أن تلك الفترة تميزت بالآتي:

- ١- أن القرآن كتب في عهد النبي ﷺ.
- ٢- أنه كان مفرقًا في عدد من الأدوات.
- ٣- أنه لم تدع الحاجة إلى جمعه في مصحف واحد، سيما مع وجود زيادة، ووقوع نسخ، ونحو ذلك.

المقدمة الرابعة: القرآن في عهد الصديق ﷺ

- روى البخاري قصة جمع القرآن في عهد الصديق ﷺ، والسبب الذي دعا إليه أن القتل استحر بالقراء يوم اليمامة، وخُشي أن يذهب كثير من القرآن^(٢).
- فأشار عمر على أبي بكر ﷺ بجمع القرآن، وعرض أبو بكر الفكرة على زيد الذي وافق عليها بعد تردد.

(١) كلها من أدوات الكتابة الشائعة في ذلك العصر.

(٢) صحيح البخاري: (٤٦٧٩).

- وقد كان زيد شاب، عاقل، وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ، وهذه الصفات أهلتة للمهمة.

- فتتبع زيد القرآن يجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وغيرها، وصدور الرجال، حتى تم الأمر على رأى من الصحابة ومسمع على أدق وجوه البحث والتحري، وأسلم أصول الثبوت العلمي.

- ولم يُستفد مما جمعه الصديق ﷺ استفادة مباشرة في عهده، وعهد عمر، وعهد عثمان إلى جمعه، إذ القصد من الجمع حفظ القرآن، والأصل في التلقي المشافهة والأخذ من صدور الرجال.

- ولم يلزم الصديق ولا الفاروق أحدًا بما جمع، بل كان الصحابة يقرؤون كما أقرأهم النبي ﷺ، وهناك عدة آثار تدل على هذا الأصل.

المقدمة الخامسة: القرآن في عهد عثمان ﷺ

- حصل اختلاف ما حول القرآن في عصر عثمان ﷺ في القرآن، ففزع حذيفة إلى عثمان فأخبره الخبر، ومما يظهر أن الاختلاف كان في المرسوم، وأن هؤلاء الذين دخلوا حديثًا في الإسلام انطلقوا من المرسوم لا من المحفوظ!.

- فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر ﷺ لترسل له مصحف أبي بكر لينسخه.
- والظاهر من النصوص أن مصحف عثمان كان موافقًا لمصحف أبي بكر في الترتيب وما إلى ذلك خلافًا لمن زعم غيره، ولذا فإن مصحف أبي بكر ﷺ لم يحرق إذ لا مخالفة بينه وبين مصحف عثمان.

- وانتدب لذلك العمل، زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقيل كان معهم غيرهم من الصحابة.

وطلب إليهم أن يثبتوا لسان قريش إذا اختلفوا في الرسم.

- وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

- ولا يعلم على التحقيق عدد المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه، وإن كان الأكثر على كونها ستة.

تنبيهات:

١- عمل عثمان رضي الله عنه لا يتعلق بالمقروء، وإنما يتعلق بالمرسوم، فانتبه إلى هذه الفائدة، فإنها تحل لك مغاليق كثيرة!

٢- القول بأن عثمان رضي الله عنه أدخل المصاحف من النقط لتحتمل القراءات، قول غير صحيح، لأن النقط لم يكن مشتهراً في الكتابة عند الصحابة والتابعين، فكيف يقال أنهم تركوه؟!؟

المقدمة السادسة: مرحلة ما بعد جمع عثمان رضي الله عنه

- أرسل عثمان رضي الله عنه المصاحف إلى الأقطار.

- وبعد ذلك ظهر المختصون بالإقراء كالأئمة الذين أرسلهم عثمان، كأبي عبدالرحمن السلمي، وزر بن حبيش، وغيرهم ممن تنتهي إليهم أسانيد القراء^(١).

- وبعد هذه المرحلة ظهرت مرحلة الاختيار في القراءات، فتسبيح السبعة مع الإمام أبي بكر بن مجاهد، أو جعلهم ثمانية، فعشرة على تفصيل يعلم في باب آخر.

المقدمة السابعة: في قواعد عامة

- أي طعن يوجه للقرآن من جهة عريته من طاعن متأخر عن أبي جهل،

(١) انظر: مقدمات في علم القراءات: (٥٧).

وأبي لهب وأضرابهم، فاعلم أنه باطل في ذاته.

إذ لو كان صحيحًا لما غفل عنه هؤلاء الأعداء، وهم أبصر الناس باللغة، وأحرصهم على الطعن في القرآن.

- لم تسقط كلمة من القرآن، حتى الخلاف في (تجري من تحتها) و(تجري تحتها) لا يوجب القول بأن القرآن سقط منه شيء؛ لأن من قرأ (تجري تحتها) قرأ قرآنًا كاملًا، ومن قرأ (تجري من تحتها) قرأ قرآنًا كاملًا، فهو من اختلاف التنوع^(١).

(١) مصادر مهمة لموضوع تاريخ القرآن:

- ١- مصاحف الصحابة، د. محمد الطاسان، ط. التدمرية.
- ٢- المحرر في علوم القرآن (فصل جمع القرآن)، د. مساعد الطيار.
- ٣- جمع القرآن، د. محمد شرعي أبو زيد.
- ٤- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ش/ عبدالله الجديع.
- ٥- جهود الآل والأصحاب في جمع القرآن، أ/ أحمد سالم.

قبل البدء!

تداوي ... طب مجرب، وطبيب خريتا!

سئل شيخ الإسلام رحمته الله وأثابه الجنة:

ما دواء من تحكم فيه الداء، وما الاحتيال فيمن تسلط عليه الخبال، وما العمل فيمن غلب عليه الكسل، وما الطريق إلى التوفيق، وما الحيلة فيمن سطت عليه الحيرة؟

إن قصد التوجه إلى الله منعه هواه، وإن رام الأدكار غلب عليه الافتكار، وإن أراد يشتغل لم يطاوعه الفشل.

غلب الهوى فتراه في أوقاته	حيران صاحي بل هو السكران
إن رام قربا للحبيب تفرقت	أسبابه وتواصل الهجران
هجر الأقارب والمعارف عله	يجد الغنى وعلى الغناء يعان
ما ازداد إلا حيرة وتوانيا	أكذا بهم من يستجير يهان

فأجاب:

دواؤه الالتجاء إلى الله تعالى، ودوام التضرع إلى الله سبحانه، والدعاء بأن يتعلم الأدعية المأثورة، ويتوخى الدعاء في مظان الإجابة؛ مثل آخر الليل، وأوقات الأذان والإقامة، وفي سجوده، وفي أدبار الصلوات.

ويضم إلى ذلك الاستغفار؛ فإنه من استغفر الله ثم تاب إليه متعًا متاعًا حسنًا إلى

أجل مسمى.

وليتخذ وردًا من الأذكار طرفي النهار ووقت النوم، وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف، فإنه لا يلبث أن يؤيده الله بروح منه، ويكتب الإيمان في قلبه. وليحرص على إكمال الفرائض من الصلوات الخمس بباطنه وظاهره، فإنها عمود الدين.

ولتكن هجيره: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، فإنه بها يحمل الأثقال، ويكابد الأهوال، وينال رفيع الأحوال.

ولا يسأم من الدعاء والطلب، فإن العبد يستجاب له ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي.

وليعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، ولم ينل أحد شيئاً من جسيم الخير - نبي فمن دونه - إلا بالصبر، والحمد لله رب العالمين^(١).

واعلم أن من أكثر من ذكر شيء وإن كان تكلفاً أحبه، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الأُنس بالمذكور والحب له، ثم يمتنع الصبر عنه آخرًا فيصير الموجب موجبًا والثمر مثمرًا.

وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة. ولا يصدر التنعيم إلا من الأُنس والحب، ولا يصدر الأُنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعًا، فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولاً ويكابد أكله ويواظب عليه = فيصير موافقًا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف، هي النفس ما عودتها تتعود^(٢).

(١) مجموع الفتاوى: (١٣٧/١٠).

(٢) إحياء علوم الدين: (٣٠٢/١).

«فإذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه».

قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧]، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفا على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر وانتفاء المانع الذي يمنع منه تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدله على المراد بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾، أشار إلى ما تقدم من أول السورة إلى ههنا، وهذا هو المؤثر، وقوله: ﴿لَمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحي الذي يعقل عن الله كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٦٩-٧٠]، أي: حي القلب.

وقوله: ﴿أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ﴾ أي: وجه سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا شرط التأثير بالكلام.

وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد القلب حاضر غير غائب، استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم ليس بغافل ولا ساه، وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير وهو سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له، والنظر فيه وتأمله.

فإذا حصل المؤثر؛ وهو القرآن، والمحل القابل؛ وهو القلب الحي، ووجد الشرط؛ وهو الإصغاء، وانتفى المانع؛ وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر = حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر^(١).

(١) نوافذ، لابن قيم الجوزية: (٣)، بتصرف.

تعاهدوا القرآن

جاء الحث من الله تعالى لنبيه ﷺ على الاستمسك بالكتاب، وهو مستلزم للتعاهد، قال تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وجعله الله تعالى شارة المصلحين، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

وحض النبي ﷺ على الاستمسك بالكتاب، تلاوةً، ومدارسةً، وجاء هذا الحض في صور متعددة منها صورة الحث بلفظ التعاهد:

فعن أبي موسى، عن النبي ﷺ، قال: «تعاهدوا هذا القرآن، فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد ثقلنا من الإبل في عقلها»^(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن، كمثل صاحب الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت».

والقيام بالكتاب سبيل للتعاهد، وفي رواية مسلم:

«وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل، والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه»^(٢).

وصاحب القرآن: أي الذي ألفه، والمؤالفة المصاحبة وهو كقوله: أصحاب الجنة^(٣).

(١) رواه البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).

(٢) رواه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩).

(٣) انظر، فتح الباري لابن حجر: (٦٩٦/٨).

والقرآن كتاب عزيز له أسرار لا تظهر إلا بطول المصاحبة، فكلما ازدادت صحبة المرء مع القرآن = ازداد معرفة بأسراره، وآياته وبياناته.

وإنما ذكر الإبل وخصها = لأنها أشد الحيوان الإنسي نفورًا، وفي تحصيلها بعد استمکان نفورها صعوبة^(١).

والقرآن أشد تفصيلاً من صدور الرجال من النَّعَم^(٢)، وسبب الدم ما فيه من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن، إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهد بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره.

فإذا قال الإنسان نسيت الآية الفلانية فكأنه شهد على نفسه بالتفريط فيكون متعلق الذم ترك الاستذكار والتعاهد لأنه الذي يورث النسيان^(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله أهلين من الناس»، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته»^(٤).

وفي هذا الحديث بيان لمنزلة حفاظ القرآن والعاملين به والداعين إليه، وهم أولياء الله والمختصون به اختصاص أهل الإنسان به.

فهل تريد أن تكون من أهل الله؟! دونك الكتاب فانهل.

ومن حثه صلى الله عليه وسلم على التعاهد مرغباً فيه؛ بيان منزلة صاحب القرآن في الآخرة كما جاء عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها»^(٥).

(١) فتح الباري، ابن حجر: (٧٩/٩).

(٢) رواه البخاري (٥٠٣٢)، ومسلم (٧٩٠).

(٣) انظر: فتح الباري، ابن حجر: (٨١/٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٧/٣)؛ وابن ماجه (٢١٥)؛ والنسائي في الكبرى (٨٠٣١)، (٣٢٠٦)، وهو صحيح.

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٩٢/٢)؛ وأبو داود (١٤٦٤)؛ والترمذي (٢٩١٤)، وقال: حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (٨٠٥٦).

ففي هذا الحديث بيان لمنزلة صاحب القرآن الذي كان في الدنيا يلزم القرآن بالتلاوة والعمل، فيقال له عند دخوله الجنة: اقرأ واصعد في درجات الجنة، وقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة كما كنت ترتل في الدنيا من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف^(١).

وعن أبي أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف، تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»^(٢).

فالعجب ممن يعلم هذه الفضائل، ثم هو يبحث عن الشفاء في غير الكتاب، يا هذا! هذا كلام الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، فأقبل على كتاب ربك، أقبل عليه قبل أن تتحسرا!

وعن جبير بن نفير، قال: سمعت النواس بن سمعان الكلبي، يقول: سمعت النبي ﷺ، يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة، وآل عمران»، وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد، قال: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق»^(٣)، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما»^(٤).

فالقرآن يشفع لأصحابه وخاصته، المؤمنين به والملازمين لتلاوته، والعاملين بتعاليمه.

(١) انظر، تحفة الأحوذى، للمباركفوري: (١٨٦/٨-١٨٧).

(٢) رواه مسلم (٨٠٤).

(٣) شرق: هو بفتح الراء وإسكانها، أي ضياء ونور، والأشهر في الرواية واللغة الإسكان.

انظر: شرح صحيح مسلم للنووي: (٧٩/٦).

(٤) رواه مسلم (٨٠٥).

ومن ذلك شحذه ﷺ للهمم بمعاودة القرآن واغتياب صاحبه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب، وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالا، فهو يتصدق به آناء الليل والنهار»^(١).

وعن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن، فهو يتلوه آناء الليل، وآناء النهار، فسمعه جار له، فقال: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق، فقال رجل: ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان، فعملت مثل ما يعمل»^(٢).

«ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة، وهي حُسْنُ الحال، فينبغي أن يكون شديد الاغتياب بما هو فيه، ويستحب تغييظه بذلك، يقال: غَبَطَهُ يَغْبِطُهُ غَبْطًا؛ إذا تَمَنَّى مثل ما هو فيه من النعمة، وهذا بخلاف الحسد المذموم، وهو تَمَنَّى زوال نعمة المحسود عنه، سواء حصلت لذلك الحاسد أو لا، وهذا مذموم شرعًا مهلك، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والإعظام.

والحسد الشرعي الممدوح هو تَمَنَّى حال مثل ذلك الذي هو على حالة سارة، ولهذا قال عليه السلام: «لا حسد إلا في اثنتين»، فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار، والنعمة المتعدية وهي إنفاق المال بالليل والنهار، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]»^(٣).

(١) رواه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٦).

(٣) فضائل القرآن، ابن كثير: (٢٠١).

وقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثال لإيضاح المقاصد، دافعًا إلى المداومة على قراءة القرآن، ومن ذلك:

ما جاء عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر»^(١).

في هذا الحديث حض على تعاهد القرآن، بتشبيه معقول بمحسوس، فلما كان طيب المطعم وطيب الرائحة في النفس المؤمنة عقليين وكانت الأمور العقلية لا تبرز عن موصوفها إلا بتصويرها بصورة المحسوس المشاهد، شبه ﷺ بالأترجة الموجود فيها ذلك حسًا تقريبًا للفهم والإدراك، فطيب المطعم في النفس المؤمنة الإيمان لأنه ثابت في النفس هي به طيبة الباطن كثبوتها في الأترجة، والطيب الرائحة فيه يرجع إلى قراءته القرآن لأن القراءة قد يتعدى نفعها إلى الغير فينتفع بها المستمع، كما أن طيب رائحة الأترجة تتعدى وينتفع بها المستروح، أي الشَّام. والمراد بقوله: «يقرأ القرآن»: بصيغة المضارع الدوام والاستمرار على تلاوته، لأن المقصود من حفظ القرآن تعاهده بكثرة التلاوة للوقوف على أسرار معانيه والاتعاظ بكريم مواعظه والعمل بشريف أوامره ونواهيهِ^(٢).

وعن عقبة بن عامر، قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة، فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير إثم، ولا قطع رحم؟»، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو

(١) رواه البخاري (٥٠٥٩).

(٢) انظر: إكمال إكمال المُعلِّم للأبي: (٣/١٣٨-١٣٩). وانظر: فتح الباري، ابن حجر:

(٨/٦٨٤).

أحدكم إلى المسجد فيعلم، أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ، خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»^(١).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟» قلنا: نعم، قال: «فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاته، خير له من ثلاث خلفات عظام سمان»^(٢).

ففي هذين الحديثين حثه ﷺ على المداومة على قراءة القرآن، بقوله: «كل يوم»، وترغيبه ﷺ بقوله: «ومن أعدادهن من الإبل» محفزاً على كثرة القراءة، وكذلك القراءة في الصلاة، وهو أسلوب تربوي فريد في توجيه اهتمامهم إلى الكنز الحقيقي وهو القرآن الكريم^(٣).

فترى - أراك الله الخير - أن النبي ﷺ حث على صور من التعاهد، وهي: التعاهد العام في كل وقت، وقراءته في الليل، وخاصة في صلاة الليل، وقراءته في النهار.

وقد كان النبي ﷺ يتعاهد القرآن العظيم، بعدد من أنواع التعاهد، ومن ذلك:

● معارضة الملك!

والعرضة من العرض، والمقصود بها: مداورة جبريل ﷺ القرآن مع النبي ﷺ، فعن عائشة قالت: أخبرني [أي: رسول الله ﷺ] «أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري؛ فإنه نعم السلف أنا لك»^(٤).

(١) رواه مسلم (٨٠٣).

(٢) رواه مسلم (٨٠٢).

(٣) انظر: قراءة القرآن الكريم، د. دخيل بن عبدالله الدخيل: (١٢٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد: (٢٨٢/٦)، والبخاري: (٦٢٨٥)، ومسلم: (٢٤٥٠)، وابن ماجه:

(١٦٢١).

وعن فاطمة رضي الله عنها قالت: أسر إلي رسول الله ﷺ: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي. وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن في كل رمضان مرة إلا العام الذي قبض فيه؛ فإنه عرض عليه مرتين بحضرة عبد الله (أي: ابن مسعود) فشهد ما نسخ منه، وما بدل»^(٢)، وعن مجاهد، عن ابن عباس قال: «أي القراءتين ترون كان آخر القراءة؟» قالوا: «قراءة زيد»، قال: «لا، إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن كل سنة على جبريل فلما كانت السنة التي قبض فيها، عرضه عليه عرضتين، فكانت قراءة ابن مسعود آخرهن»^(٣).

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «عرض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات، فيقولون: إن قراءتنا هذه هي العرضة الأخيرة»^(٤).

فهذه المعارضة نوع من أنواع التعاهد للكتاب المجيد، وفيها كان النبي ﷺ يجدد العهد بالكتاب مع أمين الوحي ذي القوة جبريل عليه السلام.

وقد استفيد منه: أن يكون لحفظ القرآن معارضة سنوية للقراءة على المشايخ المتقنين، أو معارضة ثانية بعد ختم القرآن حفظًا، وتزداد عدد مرات المعارضة بحسب حال الطالب، وأفضل أوقاتها في شهر رمضان تأسياً بالنبي ﷺ^(٥).

● قراءة الحزب:

الحاء والزاء والباء أصل واحد وهو تجميع الشيء، فمن ذلك الحزب الجماعة

(١) أخرجه البخاري: (٣٦٢٤).

(٢) اللفظ لابن أبي شيبة (٣٠٩١٩).

(٣) هذا لفظ الإمام أحمد (١/٢٧٥، وغيره) بإسناد لا بأس به.

(٤) أخرجه الروياني: (٨٢٥، ٨٣٤)، والبيهقي: (٤٥٦٤)، والحاكم: (٢٣١/٢).

(٥) تلقى النبي ﷺ ألفاظ القرآن الكريم، للمجدي: (ص ١٩٧).

من الناس، والطائفة من كل شيء حزب، يقال: قرأ حزبه من القرآن، والحزب: الورد، وورد الرجل من القرآن والصلاة حزبه، والحزب: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة كالورد^(١).

والأصل في التحزيب ما ثبت عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، قال: فإما ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم، وإما أرسل إلي فأتيته، فقال لي: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت: بلى، يا نبي الله، ولم أرد بذلك إلا الخير، قال: «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام» قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فإن لزوجك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا» قال: «فصم صوم داود نبي الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان أعبد الناس» قال قلت: يا نبي الله، وما صوم داود؟ قال: «كان يصوم يوما ويفطر يوما» قال: «واقرا القرآن في كل شهر» قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فاقرأه في كل عشرين» قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فاقرأه في كل عشر» قال قلت: يا نبي الله، إني أطيق أفضل من ذلك، قال: «فاقرأه في كل سبع، ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا» قال: فشددت، فشدد علي. قال: وقال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر» قال: «فصرت إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كبرت وددت أنني كنت قبلت رخصة نبي الله صلى الله عليه وسلم»^(٢).

وما ثبت عن أوس بن حذيفة، قال: قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد ثقيف، فنزلوا الأحلاف على المغيرة بن شعبة، وأنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بني مالك في قبة له، فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجله، حتى يراوح بين رجله وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش ويقول: «ولا سواء، كنا مستضعفين

(١) انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس: (٥٥/٢)، ولسان العرب، لابن منظور: (٣٠٨/١).

(٢) رواه مسلم: (١١٥٩).

مستذلين، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم، ندال عليهم ويدالون علينا»، فلما كان ذات ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه، فقلت: يا رسول الله لقد أبطأت علينا الليلة قال: «إنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه»، قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل^(١).

ففي هذين الحديثين أصلٌ لتحزيب القرآن، وتقسيمه حتى يسهل تعاهده، وقد اشتهر هذا التحزيب عند الصحابة رضي الله عنهم.

فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقسمون القرآن ويحزبونه، قالت عائشة رضي الله عنها: «إني لأقرأ جزئي - أو قالت: حزبي - وإني لمضطجعة على السرير»^(٢).

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، اقرؤه في سبع، ويحافظ الرجل كل يوم وليلة على جزئه»^(٣).

(١) رواه أحمد: (١٩٠٢١)، وأبو داود: (١٣٩٣)، وابن ماجه: (١٣٤٥).

ولفظ أحمد: «عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جده أوس بن حذيفة قال: كنت في الوفد الذين أتوا رسول الله ﷺ أسلموا من ثقيف من بني مالك، أنزلنا في قبة له، فكان يختلف إلينا بين بيوته وبين المسجد، فإذا صلى العشاء الآخرة انصرف إلينا، فلا يبرح يحدثنا ويشتكي قريشا، ويشتكي أهل مكة ثم يقول: «لا سواء، كنا بمكة مستذلين أو مستضعفين، فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب علينا ولنا»، فمكث عنا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء. قال: قلنا: ما أمكثك عنا يا رسول الله؟ قال: «طرأ علي حزب من القرآن، فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه». فسألنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا؟ قال: قلنا: كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: نحزبه ست سور، وخمس سور، وسبع سور، وتسع سور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من ق حتى تختم».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه: (٣٤٠/١)، وأخرجه ابن أبي شيبة: (١٩٠/٧).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٥٩٤٨)، من حديث ابن مسعود، والطبراني في الكبير (٨٧٠٧)؛ والبيهقي (٣٩٦/٢)، قال ابن حجر في الفتح (٧١٤/٩): عند سعيد بن منصور بإسناد صحيح.

قال ابن تيمية: «فالصحابة إنما كانوا يحزبونه سورًا تامة، لا يحزبون السورة الواحدة»^(١).

ثم قال: «وفيه أنهم حزبوه بالسور وهذا معلوم بالتواتر؛ فإنه قد علم أن أول ما جزئ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين وثلاثين وستين. هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة وأثناء القصة ونحو ذلك كان في زمن الحجاج وما بعده وروي أن الحجاج أمر بذلك.

ومن العراق فشا ذلك ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك».

وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثة من عهد الحجاج بالعراق، فمعلوم أن الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر؛ فإنهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون: خمسون آية ستون آية. وتارة بالسور لكن تسيبته بالآيات لم يروه أحد ولا ذكره أحد فتعين التحزيب بالسور، . . . والمقصود أن التحزيب بالسورة التامة أولى من التحزيب بالتجزئة.»^(٢).

واشتهر التحزيب عند القراء، فقد كان للقراء تحزيب للقراءة مأخوذ من السنة، وهو المعروف عندهم بـ(فمي بشوق):

١- فالفاء = الفاتحة. ويكون السبع الأول من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة النساء.

٢- والميم = المائة. ويكون السبع الثاني من سورة المائة إلى نهاية سورة التوبة.

٣- والياء = يونس. ويكون السبع الثالث من سورة يونس إلى نهاية سورة النحل.

(١) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٢٠٤)؛ وأحمد في المسند (٩/٤)؛ وأبو داود (١٣٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٣/٤٠٨-٤١٢).

٤- والباء = بنو إسرائيل . ويكون السبع الرابع من سورة الإسراء (بنو إسرائيل) إلى نهاية سورة الفرقان .

٥- والشين : الشعراء . ويكون السبع الخامس من سورة الشعراء إلى نهاية سورة يس .

٦- والواو = والصفات . ويكون السبع السادس من سورة الصفات إلى نهاية سورة الحجرات .

٧- والقاف = ق . ويكون السبع السابع من سورة ق إلى نهاية سورة الناس خاتمة القرآن .

● قراءة الصلاة :

ومن المواضع التي كان النبي ﷺ يتعاهد فيها القرآن الكريم الصلاة المفروضة سواء كانت سرية أو جهرية وكذلك النوافل، ومن ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قَالَ : سمعت رسول الله ﷺ : «قرأ في المغرب بالطور»^(١) .

وعن أبي سعيد الخدري قال : «كنا نحزر قيام رسول الله ﷺ في الظهر والعصر فحزرننا قيامه في الركعتين الأوليين من الظهر قدر قراءة الم تنزيل السجدة وحزرننا قيامه في الآخرين قدر النصف من ذلك، وحزرننا قيامه في الركعتين الأوليين من العصر على قدر قيامه في الآخرين من الظهر وفي الآخرين من العصر على النصف من ذلك»^(٢) .

وعن أبي برزة : «كان النبي ﷺ يصلي الصبح وأحدنا يعرف جليسه، ويقرأ فيها ما بين الستين إلى المائة»^(٣) . والأحاديث في هذا كثيرة .

(١) البخاري (٧٦٥)، ومسلم (٤٦٣) .

(٢) مسلم (٤٥٢) .

(٣) البخاري (٧٧١)، ومسلم (٤٦١) .

● القيام بالكتاب :

قد أشار الله ﷻ إلى أفضل طرق المعاهدة، والتي ينبغي لحافظ القرآن الاعتناء بها، وهي قيام الليل بالمحفوظ من القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وإن الليل مظنة الحضور والفهم وصفاء النفس وتفريغ القلب من العلائق والشواغل^(١).

والنبي ﷺ هو المخاطب بذلك، ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا قِيلًا ۖ ۝٢ يَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَزَلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤]. وكان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه^(٢)، وكان يطيل القراءة في صلاته؛ كما جاء عن حذيفة، قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ...»^(٣)، وعن عوف بن مالك، يقول: قمت مع رسول الله ﷺ فبدأ فاستاك، ثم توضأ، ثم قام يصلي وقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف يتعوذ، ثم ركع فمكث راکعاً بقدر قيامه، يقول في ركوعه:

(١) «إن لناشئة الليل قناديل أخرى تنبض بنور أخضر، نور يمدّه زيت الحذر من وعيد الله، وأريج المحبة لجمال الله.. فتبهج الدوالي حزناً وفرحاً، وتنشط الخفاف سيراً إلى الله، قياماً وسجوداً.. ذلك فصل فريد خارج فصول المدار، ومطلع خفي من غير المطالع الخمسة، له إشراق ربيعي، وأريج من كئبان الجنة، يملأ الحراب مسكاً وريحاناً.. فارشف يا سالك...! هذه كأس العارفين بالله، تفيض عليك بعلمه، فارشف ولا تك من الجاهلين!».

فريد الأنصاري!

(٢) رواه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩).

(٣) رواه مسلم (٧٧٢).

«سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة» ثم قرأ آل عمران، ثم سورة، ففعل مثل ذلك»^(١)، ثم يوجه النبي ﷺ أصحابه وهو القدوة في ذلك، بأنه «وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل، والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه»^(٢)، فتبين من هذا الحديث أن من يقوم بالقرآن يكون حاضر الذهن متذكراً لآياته، متعاهداً له. يقول الشيخ عطيه سالم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وقد سمعت من الشيخ^(٣) -رحمة الله تعالى علينا وعليه- قوله: لا يثبت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه ويسر فهمه إلا القيام به من جوف الليل، وقد كان -رحمه الله تعالى- لا يترك ورده من الليل صيفاً أو شتاء»^(٤).

وقد نهج الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ نهج رسول الله ﷺ في معاهدة القرآن الكريم بتلاوة المحفوظ في صلاة الليل، كما ثبت «أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة، «فصلّى العشاء ركعتين، ثم قام فصلّى ركعة أوتر بها، فقرأ فيها بمائة آية من النساء»، ثم قال: ما ألوت أن أضع قدمي حيث وضع رسول الله ﷺ قدميه وأنا أقرأ بما قرأ به رسول الله ﷺ»^(٥). وكان ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يقرأ البقرة في ركعة وكان بطيء القراءة^(٦). وقد سار السلف الصالح في معاهدة القرآن بهذا المنهج، حتى عُرفَ بينهم، كما قال أبو عبدالله بن بشر القطان: ما رأيت أحسن انتزاعاً لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل والتلاوة، فلكثرته درسه صار القرآن كأنه بين عينيه^(٧).

(١) أخرجه أحمد (٢٣٩٨٠)، وأبو داود (٨٧٣).

(٢) رواه مسلم (٧٨٩).

(٣) يقصد الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي.

(٤) أضواء البيان: (٣٥٩/٨).

(٥) أخرجه أحمد (١٩٧٦٠)، والنسائي (١٧٢٨).

(٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٣٠٠).

(٧) انظر: تاريخ الإسلام: (٤٣٦/٢٥)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (٥٢١/١٥).

تأمل هذا الوصف: «صار القرآن كأنه بين عينيه»، أي قلب كان يحمل، وأي نور كان يرى به، رحمة الله علينا وعليه.

● التعاهد العام حضرًا وسفرًا:

ومن تعاهد النبي ﷺ للقرآن الكريم قراءته على الدابة، كما جاء عن عبد الله بن مغفل، قال: «رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جملة، وهي تسير به، وهو يقرأ سورة الفتح - أو من سورة الفتح - قراءة لينة يقرأ وهو يرجع»^(١).

وفيه يظهر حرصه ﷺ على تعاهد القرآن جليًا حتى على ظهر دابته، وفي حال سفره.

(١) رواه البخاري: (٥٠٤٧)، فضائل القرآن، ابن كثير: (٢٢٣/١) استفيد كثير من هذا المبحث من كتاب إقراء القرآن الكريم، د. دخيل الدخيل، ط. معهد الإمام الشاطبي.

وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ!

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَٰذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَمْ كُنْ شَيْئًا وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩١ - ٩٢].

وهذه التلاوة هي الوظيفة التي جاء بها صلوات الله وسلامه عليه، تلاوة الكتاب، وتلاوة الكتاب فقط، وتلاوة الكتاب فحسب.

تلك التلاوة التي تبعث في قلبك النور، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

تلك التلاوة التي تمدك بالحياة، ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

تلك التلاوة التي تغمرك بالجمال، والذي نفسه بغير جمال .. لا يرى في الوجود شيئًا جميلًا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

تلاوة الكتاب طريق إلى التجارة الرابعة.

والتالون للكتاب تلاوة حقيقية هم الذين يتبعونه في أوامره فيمثلونها، وفي نواهيها، فيتركونها، وفي أخبارها، فيصدقونها ويعتقدونها، ولا يقدمون عليه ما خالفه من الأقوال، ويتلون أيضًا ألفاظه، بدراسته، ومعانيه، بتبعبها واستخراجها. «فحقيقة التلاوة في هذه المواضع هي التلاوة المطلقة التامة، وهي تلاوة اللفظ

والمعنى؛ فتلاوة اللفظ جزءٌ مُسمى التلاوة المُطلقة، وحقيقَةُ اللفظ إنما هي الاتباع، يقال: اتلُ أثر فلان، وتلوثُ أثره، وقفوئُهُ وقصصتُهُ، بمعنى تَبَعْتُهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝ ١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ [الشمس ١: ٢]، أي: تَبَعَهَا في طلوع بعد غيبتها، ويُقال: جاء القومُ يتلو بعضهم بعضًا، أي: يتبع، ويُسمى تالي الكلام تاليًا، لأنَّهُ يُتَّبَعُ بعضَ الحروف بعضًا، لا يُخرَجُها جُمْلَةً واحدةً، بل يُتَّبَعُ بعضها بعضًا مُرتبةً، كُلُّما انقضى حرفٌ أو كلمةٌ أتبعهُ بحرفٍ آخرٍ وكلمةٍ أُخرى، وهذه التلاوةُ وسيلةٌ وطريقٌ.

والمقصودُ التلاوةُ الحقيقيةُ، وهي تلاوةُ المعنى واتباعُهُ؛ تصديقًا بخبره واثمَارًا بأمره، وانتهاءً عن نهيه، واثمَامًا به، حيثُما قادك انقادت معه، فتلاوةُ القرآن تتناولُ تلاوةً لفظه ومعناه، وتلاوةً المعنى أشرفُ من مجرد تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهلُ القرآن الذين لهم الشناء في الدنيا والآخرة، فإنهم أهلُ تلاوةٍ ومتابعةٍ حقًا^(١).

والتلاوة التي ننشدها هي التلاوة بمنهج التلقي، يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦].

«كثيرون هم أولئك الناس الذين يتلون القرآن اليوم، أو يستمعون له على الإجمال، على أشكال وأغراض مختلفة. ولكن قليل منهم من (يَتَلَقَى) القرآن! وإنما يؤتي القرآن ثمارَ الذكر حقيقةً لمن تَلَقَاهُ! وإنما كان رسول الله يَتَلَقَى القرآن من ربه. قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]. ولا يزال القرآن معروضًا لمن يتلقاه، وليس لمن يتلوه فقط!^(٢)

(١) مفتاح دار السعادة: (٢٠٢/١).

(٢) عن أبي وائل، قال: جاء رجل يقال له نهيك بن سنان إلى عبد الله، فقال: يا أبا عبد الرحمن كيف تقرأ هذا الحرف؟ ألفا تجده أم ياء (من ماء غير أسن)، أو «من ماء غير ياسين»؟ قال: فقال عبد الله: وكل القرآن قد أحصيت غير هذا، قال: إني لأقرأ المفصل في ركعة، فقال عبد الله: «هذا كهذا الشعر، إن أقوامًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع»، رواه مسلم: (٨٢٢).

. . وتلقى القرآن بمعنى: استقبال القلب للوحي، على سبيل الذِّكْرِ.

وهو عام في كل مؤمن أخذ القرآن بمنهج التلقي، فذلك المنهج هو الذي به تنبعث حياة القلوب. لأنها تتلقى آئذ القرآن (روحًا) من لدن الرحمن. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكُتُبُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

و(تلقى القرآن) بمعنى استقبال القلب للوحي، على سبيل الذِّكْرِ؛ إنما يكون بحيث يتعامل معه العبد بصورة شهودية، أي كأنما هو يشهد تنزله الآن غضا طريا! فيتدبره آية، آية، باعتبار أنها تنزلت عليه لتخاطبه هو في نفسه ووجدانه، فتبعث قلبه حيا في عصره وزمانه! ومن هنا وصف الله تعالى العبد الذي (يتلقى القرآن) بهذا المعنى؛ بأنه (يُلْقِي) له السمع بشهود القلب! قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْفَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧]. ذلك هو الذاكر حقا، الذي يحصل الذكري ولا يكون من الغافلين.

أن تتلقى القرآن: معناه إذن؛ أن تصغي إلى الله يخاطبك! فتبصر حقائق الآيات وهي تنزل على قلبك روحا. وبهذا تقع اليقظة والتذكر، ثم يقع التخلُّق بالقرآن، على نحو ما هو مذكور في وصف رسول الله، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، لما سئلت عن خلقه؛ فقالت: (كان خُلُقُهُ القرآن!).

وأن تتلقى القرآن: معناه أيضا أن تنزل الآيات على موطن الحاجة من قلبك ووجدانك! كما يتنزل الدواء على موطن الداء! فأدم عليه السلام لما أكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة؛ ظهرت عليهما أمارة الغواية؛ بسقوط لباس الجنة عن جسديهما! فظل آدم عليه السلام كئيبا حزينا. قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لُهُمَا سَوْءَاتُهُمَا! وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن رِّقِّ الْجِنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]. ولم يزل كذلك حتى (تلقَى) كلمات التوبة من ربه فتاب عليه؛ فكانت له بذلك شفاء! وذلك قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]. فهو عليه السلام كان

في حاجة شديدة إلى شيء يفعله أو يقوله؛ ليتوب إلى الله، لكنه لا يدري كيف؟ فأنزل الله عليه -برحمته تعالى- كلمات التوبة؛ ليتوب بها هو وزوجه إلى الله تعالى. وهي -كما يقول المفسرون- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبَّنَا طَلَعْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] فبمجرد ما أن تنزلت الآيات على موطن الحاجة من قلبه؛ حتى نطقت بها الجوارح والأشواق؛ فكانت له التوبة خُلُقًا إلى يوم القيامة! وكان آدم عليه السلام بهذا أول التوابين! وذلك أخذه كلمات التوبة على سبيل (التلقي): (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ)!

فعندما تقرأ القرآن إذن؛ استمع وأنصت! فإن الله جل جلاله يخاطبك أنت! وادخل بوجدانك مشاهد القرآن، فإنك في ضيافة الرحمن! هناك حيث ترى من المشاهد ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر!

فاقرأ إذن كما استطعت وتعلم؛ لكن بحضور قلبي تام؛ كي تتزكى. فقد رأيت أن التلاوة بدء فعله من التعليم والتزكية، كما مر في قوله تعالى: (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ). فالتلاوة نور في نفسها. إنها -لو أبصرتها حقاً- صلة مباشرة برب العالمين؛ ذكرا ومناجاة. إن العبد التالي لكتاب الله متكلم بكلام الله. وهذا وحده معنى عظيم في نفسه، فتدبر! وهو يمهد القلب ويهيئه للخطوات التربوية التالية^(١).

إن القرآن لا يشتغل حقيقة؛ إلا إذا تحرك به قلب العبد المؤمن! نعم! واشتعل له وجدانه! وتهيأ كيانه كله للاشتعال! فالمعاناة الإيمانية النابعة من صدق الإقبال على الله، وشدة الافتقار إليه تعالى؛ هي وحدها الكفيلة بتهيئة النفس وتصفيتها؛ حتى تصلح مراتها لتعكس أنوار حقائق الإيمان، الكامنة في القرآن، وتستدر أسرار العرفان المكتنزة فيه! إنها هي وحدها تتيح للعبد الصادق تفجير زناد القرآن، وإشعال زيتة الوقاد! ذلك أن الله جعل قلب العبد المؤمن هو المحرك الذي يُشغّل

(١) مجالس القرآن للأنصاري: (٦٦).

قاطرة الإيمان، ولا حركة إلا بِمُحَرِّك! فكيف ينطلق النور؟ وكيف يتوهج القرآن؟ وهذا القلب جامد هامد، لا تهب به رياح الأشواق؟^(١)

فتأثر العبد بالتلاوة؛ أن يصير بصفة الآية المتلوة، فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعًا لجلاله واستشعارًا لعظمته، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله ﷻ -كذکرهم لله ﷻ ولذا وصاحبة- يغض صوته، ويكسر في باطنه حياء قبح مقاتلهم، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقًا إليها، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفًا منها^(٢).

ولو سألت: لماذا لا تلتذ وتأثر بالقرآن؟!

وهل التأثر به هو البكاء لصوت القارئ؟!

فالجواب: أن القرآن هدى كله، وهو كلّ الهدى.

ومن صفات ما كان كذلك: أنه بذاته مؤثر في السامع (غير المعاند ولا المستكبر)، ولا يشترط في ذلك طهارة القلب من كل آفة!

ولو كان يشترط للتأثر بالقرآن طهارة القلب من كل آفة؛ لما القرآن هو الهادي الشافي!

ولكان في القول بذلك قول بالدور السبقي العدمي المستحيل، فحقيقته: القول باشتراط طهارة القلب قبل استماع القرآن؛ واشتراط استماع القرآن قبل طهارة القلب!

فلماذا لا تتأثر إذن بالقرآن، في ورد القراءة والصلاة؟

هذا فرض محال!

(١) السابق.

(٢) إحياء علوم الدين: (١/٢٨٦).

مهما استمعتَ إلى القرآن أو قرأته فأنتَ آخذ في الاهتداءِ بتقوية المحل، وتبديد ظلمته واستبدال النور به، وتخليته من الران الذي أكسبته إياه بنفسك!

حتى إذا نقيتَ المحل وطهرته؛ كان الاهتداء بالقرآن بزيادة نور القلب، فيحصل التلذذ التام بحصول النور التام، ويحصل الاهتداء التام بعد زوال أثر المعصية زوالاً تاماً!

ولا بد أن يعقبه غيابك عن شهود ألم الوقوف، وتعداد الدقائق، في الصلاة وفي التلاوة!!

فالاهتداء بالقرآن ليس هو حصول النور فقط، بل تبديد الظلام أيضاً، وهي هداية أسبق وأهم، وأطول وأجهد.

ولأجل ما فيها من عسرة؛ فإن كثيراً من الناس لا يصبر عليها، ربما لأجل السأم، أو الانصياع لداعي الهوى، أو الشهوة، أو غير ذلك.

لكن أكثر الناس لا يعي أنه بحاجة إلى مجاهدة طويلة وصبر حتى يزيل أثر الغفلة والذنب من قلبه، ثم يستمتع بالقرآن والصلاة!

والفقيه حقاً من يعي ذلك، ثم يجاهد نفسه لإصلاح المحل، وتقويته، مهما طال به الزمان.

• قال الإمام الكبير محمد بن المنكدر: (كابدتُ نفسي أربعين سنة، حتى استقامت)!

• وقال الربانيّ ثابت البناني: (كابدت الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة)!

ونحو ذلك عن الفقهاء حقاً كثير.

وهذا الجهاد، هو الجهاد الأفرض، والأعظم، وما سواه تابع له!

إذ هو في الحقيقة: أن تمتلك نفسك، فتقودها، ولا تملكك فتسحبك!

ووالله إن ظنك في نفسك أن تثبت في ساحة القتال، وأنت لا تملكها في ركعات وقراءة أعذب كلام وأحلاه، ولا تملكها في كف الأذى عنها، وقد علمت أنه أذاها وهلاكها؛ لهو من أعظم الجهل وظن السوء والجاهلية بالله وشرعه، والأمانى الكاذبة!

وقد قال النبي ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله).

• قال التقي ابن تيمية شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ:

(جهادُ النفس والهوى؛ أصلُ جهاد الكفار، والمنافقين!

فإنه لا يقدر على جهادهم، حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً، حتى يخرج إليهم)!

• وقال الشمس ابن القيم قدس الله روحه:

(وأفرضُ الجهاد؛ جهاد النفس، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد

الدنيا!

فمن جاهد هذه الأربعة في الله؛ هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن

ترك الجهاد؛ فإنه من الهدى بحسب ما عطل)!

• وقال أيضاً: (لما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد نفسه

في ذات الله، كما قال النبي ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله،

والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»؛ كان جهاد النفس مقدماً على جهاد العدو في

الخارج، وأصلاً له!

فإنه ما لم يجاهد نفسه أولاً، لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها

في الله؛ لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج.

فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له،

متسلط عليه، لم يجاهده، ولم يحاربه في الله؟!!

بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج) انتهى!

فالمقصود:

أولاً: لا تعجل على نفسك، واعلم أنّ طريق استقامة النفس طويلة، وشاقة.

ثانياً: بقدر مكابدتك نفسك وزجرها عما تحب؛ تملكها، وبقدر ملكك لنفسك؛ تستطيع أن تطهرها على الحقّ أطراً.

ثالثاً: إذا أردت الانتفاع بالقرآن حقاً؛ فعليك أن تعمل على جهتين:

١- امنع الأذى عن قلبك، وإنما يدخل الأذى إلى القلب رأساً بلا واسطة من العين والأذن، وشرحه يطول، ودليله في القرآن، فلا تستمع ولا تنظر إلى الكذب ولا الزور، وما أكثر ذلك.

ثم لا تأكل السحت وأقلل من فضول الكلام، بل؛ امنعه!

٢- عرّض قلبك لهدى الوحي أطول فترة ممكنة، ولا تسأم، ولا تعجل، ولا تقل: هلكت!

رابعاً: التأثير والتلذذ بالقرآن ليس هو البكاء مع الصوت الحسن، الذي رأيت بعض الأعاجم يفعله تأثيراً بحسن أداء القارئ، وهو لا يفهم حرفاً مما قرئ!

بل هذا من جنس طرب النفوس بالموسيقى والألحان.

إنما علامة المتلذذ بالقرآن ألا يفقد اللذة من أي قارئ يحسن أحكام التلاوة، وإن زاد تلذذه بحسن الصوت.

نعم، لا بأس بتتبع حسن الصوت في المساجد ولو بُعدت، فقط من باب مصانعة النفس والتحايل عليها!

وعدم البأس مشروط بعلم فاعل ذلك أنه يصانع نفسه ويحايلها، وأنه لا بد أن يرتقي عن هذه المنزلة الدون!

أما المبالغات والتهويلات التي يعيشها بعض الناس، حتى يضيّع نصف الليل في

التنقل من وإلى المسجد، ويمر في طريقه على عشرات المساجد التي يقرأ الناس فيها القرآن، ليس التوراة؛ فلا!

أخيرًا:

جهاد النفس والهوى والشيطان؛ لا ينقطع إلا بالموت، بخلاف غيره!
فوطن نفسك على استمراره، واعلم أنه لا بد من غفلات ورقدات، ولكن لا تطل النوم!

قال ابن تيمية: (جَهَادُ النَّفْسِ أَعْمَالُ تَعْمَلُهَا النَّفْسُ الْمَزَكَاةُ فَتَزَكُو بِذَلِكَ أَيْضًا)^(١)!

إن القرآن مشروع العمر، وبرنامج العبد في السير إلى الله إلى أن يلقي الله!
وليس المقصود أن تدرك الهدف كله، لكن يكفيك أن تموت وأنت على الطريق!

(١) من كلام للشيخ أبي حمزة خالد بهاء.

من أراد العلم .. فليثور القرآن

مصطلح (تثوير القرآن) من المصطلحات التي أطلقها الإمام الحبر صاحب النبي ﷺ = عبد الله بن مسعود، وذلك فيما رواه غير واحد عن عبد الله بإسناد صحيح، قَالَ: «إذا أردتم العلم فأثيروا القرآن، فإن فيه علم الأولين والآخرين». وقد وردَ بِالْفَاضِ مَتَعَدَّةٍ مِنْهَا: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن»، وفي رواية: «تَوَرَّوْا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»^(١).

وهذا الأثر اللطيف يبين لنا ما كان عليه السلف ﷺ من حال مع كتاب الله تعالى، وكيف لا وهو حبل الله المتين!

وقد كانوا على علم جم بهذا القرآن العظيم، قال ابن عباس: لو أردت أن أملي وقر بعير على الفاتحة لفعلت!

ومصطلح (تثوير القرآن) يعبر عن ضرب من ضروب تلقي الكتاب، وتلاوته حق التلاوة.

وقد اختلفت عبارات أهل العلم في بيان هذا المصطلح، وإن اتفقت معانيهم، فقال ابن عطية: (وتثوير القرآن: مناقشته ومدارسته والبحث فيه، وهو ما يعرف به)^(٢). ونقل القرطبي عن بعض العلماء أن تثوير القرآن (قراءته ومفاتيحه العلماء به)^(٣).

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد: (٨١٤)، ومن طريقه الفريابي في فضائل القرآن: (٧٨)، وغيرهما، بإسناد صحيح إلى ابن مسعود.

(٢) التفسير: (٣/١).

(٣) التفسير: (٤٤٦/١).

ونقل ابن عجيبة عن الغزالي أنه التفهّم، وهو: (أن يستوضح كل آية ما يليق بها إذ القرآن مشتمل على ذكر صفات الله تعالى، وذكر أفعاله، وذكر أحوال أنبيائه ﷺ، وذكر أحوال المكذّبين، وكيف أهلكوا، وذكر أوامره وزواجره، وذكر الجنة والنار)^(١).

ونقل الزركشي عن بعض العلماء أن الثوير (لَا يَحْضُلُ بِمُجَرَّدِ تَفْسِيرِ الظَّاهِرِ)^(٢).

وبوب عليه أبو الليث السمرقندي: (باب الحث على طلب التفسير)^(٣).
ولو أضفنا لذلك ما في كلمة الإثارة من التقلب والنظر في الوجوه، ومنه «وَأَنَارُوا الْأَرْضَ»، وهو تقليبها بالحرث والزراعة، وأن المرء لن يفقه القرآن حق الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً.

= لاجتماع عندنا من معاني المصطلح ما يصلح أن ننسجه بأن نقول: إن ثوير القرآن ضرب من ضروب التدبر لكتاب الله الكريم، وينطلق من التالي:

١- معرفة معنى الآية:

وذلك على سبيل الإجمال، فأول ما ينبغي أن يفعله السالك أن يفهم معنى الآية على سبيل الإجمال، لكي لا يشذ فيأتي بما لا تدل الآية عليه بطريق من الطرق المعتبرة في التفسير، وهي:

١- التفسير على اللفظ.

٢- التفسير على المعنى.

٣- التفسير على الإشارة والقياس.

(١) البحر المديد: (٢٣/٥)، الإحياء: (٢٨٢/١).

(٢) البرهان: (١٥٤/٢).

(٣) بحر العلوم: (١١/١).

ولذا فيلزم لمريد التثوير - بعد معرفة المعنى الإجمالي، وإن أراد الارتقاء = أن يتعرف على أقوال السلف في الآية- لا بد له من ..

٢- إثارة الأسئلة على نفسه، وهي من أهم مراحل التثوير:

إن مما ينبغي على القارئ فعله = أن يثير الأسئلة على نفسه ليحصل على فهم أعمق للكتاب المجيد، فإذا قرأ القارئ فاتحة الكتاب بتدبيرٍ يُثَوِّرُ به النصَّ القرآنيَّ = فإنَّ من الممكن أنْ تثورَ في نفسه الأسئلة التالية:

- ما فائدة افتتاح أول كتاب الله ﷻ بالحمد المطلق لله ﷻ في قوله -تعالى-:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾!!؟

- وما هي الآيات التي وردت فيها الحمد؟!

- وما هي مساقات الحمد؟!

فالله سبحانه قال في مفتح كتابه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وقال في موضعٍ آخر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾، وفي موضعٍ ثالثٍ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ..

- ولماذا قدم الله ذكر الرحمة على ذكر ملكه ليوم الدين؟!

- ولم يدعو المرء بلفظ الجمع (اهدنا)؟!

- وما الصراط المستقيم، وما صفات أهله؟!

وهكذا .. فإن المقصود من ذلك أن الإنسان حينما يبدأ يسأل هذه الأسئلة ويُسجِّلُهَا = سيجد أنه خلال قراءته للقرآن سنةً بعد سنةٍ يكون علمه من الاستنباطات والفوائد واللطائف الشيء الكثير ..

ثم عليه بعد ذلك ..

٣- مفاتحة العلماء، ومناقشتهم في تفسير الآيات الكريمة:

وقد اهتم السلف بهذا جدًا، ومما يدل على ذلك أنهم كانوا يعقدون مجالس

خاصة لسماع القرآن من الحفاظ العلماء، فإن: (المطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين) كما يقول ابن تيمية.

وقال: «وَهَذَا كَانَ سَمَاعَ سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَأَكْبَارِ مَشَائِخِهَا وَأَثْمَتِهَا، كَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمَشَائِخِ: كإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ وَالْفَضِيلِ بْنِ عِيَّاضَ وَأَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيَّ وَمَعْرُوفَ الْكَرْخِيِّ وَيُوسُفَ بْنِ أَسْبَاطَ وَحَدِيثَةَ الْمَرْعَشِيَّ وَأَمْثَالَ هَؤُلَاءِ».

وَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ يَا أَبَا مُوسَى: ذَكَرْنَا رَبَّنَا! فَيَقْرَأُ، وَهُمْ يَسْمَعُونَ وَيَبْكُونَ.

وَكَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ إِذَا اجْتَمَعُوا، أَمَرُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ، وَالْبَاقِي يَسْتَمِعُونَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِأَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ يَقْرَأُ، فَجَعَلَ يَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ، وَقَالَ: لَقَدْ أُوتِيَ مِرْمَارًا مِنْ مِرْمَارِ آلِ دَاوُدَ، وَقَالَ: مَرَرْتُ بِكَ الْبَارِحَةَ وَأَنْتَ تَقْرَأُ فَجَعَلْتُ أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ، فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتَ أَنَّكَ تَسْمَعُ لِحَبْرَتِهِ لَكَ تَحْبِيرًا، أَي لِحَسَنَتِهِ لَكَ تَحْسِينًا

وَلِهَذَا السَّمَاعُ مِنَ الْمَوَاجِدِ الْعَظِيمَةِ، وَالْأَذْوَاقِ الْكَرِيمَةِ، وَمَزِيدِ الْمَعَارِفِ وَالْأَحْوَالِ الْجَسِيمَةِ = مَا لَا يَسَعُهُ خُطَابُ، وَلَا يَحْوِيهِ كِتَابٌ، كَمَا أَنَّ فِي تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِهِ مِنْ مَزِيدِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ مَا لَا يُحِيطُ بِهِ بَيَانٌ^(١).

ولم تكن قراءة أبي موسى إلا قراءة عالم لعلماء يتفهمون عن طريق هذا السماع كلام ربهم سبحانه، وينزلونه على أدوائهم فتحدث الأثر المطلوب.

وكانوا يعقدون مجالس للتثوير، والمذاكرة، وعرض الفهوم في الآيات

(١) المجموع: (١٠/٨١).

الكريمة، ومنه: ما ورد عن ابن عباس، قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه من قد علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رثيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت:

«هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له»، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] «وذلك علامة أجلك»، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، فقال عمر: «ما أعلم منها إلا ما تقول»^(١).

وكانوا يعقدون مجالس لمذاكرة الكتاب وتدارسه، ومنه: قال ابن زيد في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦] إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السبحة وفرغ دخل مربدا له، فأرسل إلى فتيان قد قرءوا القرآن، منهم ابن عباس، وابن أخي عيينة، قال: فيأتون فيقرءون القرآن ويتدارسونه، فإذا كانت القائلة انصرف. قال فمروا بهذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال ابن زيد: وهؤلاء المجاهدون في سبيل الله. فقال ابن عباس، لبعض من كان إلى جنبه: اقتتل الرجلان. فسمع عمر، ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين. قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأى ذلك ابن عباس، قال: أرى هاهنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله؛ يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله، فإذا لم يقبل وأخذته العزة بالإثم، قال هذا: وأنا أشتري

(١) البخاري: (٤٩٧٠).

نفسى فقاتله، فاقتتل الرجلان. فقال عمر: لله بلادك يا ابن عباس»^(١).

ومن شأنهم سؤال العلماء بالكتاب أهل الرسوخ عنه، ورد كلام بعضهم لبعض للوصول للمراد بالآية الكريمة، ومنه:

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، حدثه قال: «بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن ﴿وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن ﴿وَالْعَدِيَّتِ ضَبْحًا﴾ [العاديات: ١] فقال: سألت عنها أحدا قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي؛ فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكنت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا. إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى مزدلفة إلى منى؛ قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي عليه السلام»^(٢).

وعليه بعد ذلك كله أن ينعم في:

٤- مرحلة التأمل العميق، ومما يعين في هذه المرحلة أن يعتني بعلوم السورة، وعلوم الآية، ومن العلوم المتعلقة بالسورة:

- ١- اسم السورة، أو أسماؤها إن كان لها أكثر من اسم.
- ٢- مكان نزول السورة، وزمان نزولها (المكي والمدني).
- ٣- عدد آي السورة، وعدد كلماتها وحروفها.
- ٤- فضائلها، إن كان لها فضائل ثابتة.

(١) الطبري: (٣/٥٨٨).

(٢) الطبري: (٢٤/٥٧٣).

٥- مناسبة السورة لما قبلها، ومناسبة فاتحتها لخاتمتها، ومناسبات موضوعاتها بعضها مع بعض.

٦- موضوعات السورة.

وأما مجمل علوم الآية فأذكر منها:

١- تفسيرها، وذلك ما مضى في القسم الأول.

٢- فضلها، إن وُجِدَ.

٣- اسمها، إن وُجِدَ.

٤- مكان نزولها وزمانه.

٥- قراءاتها، إن وُجِدَ فيها اختلاف قراءات.

٦- إعرابها.

٧- أحكامها التشريعية (من الأحكام الفقهية الآداب والسلوك).

٨- أحكامها العقدية.

٨- ناسخها ومنسوخها (على اصطلاح السلف).

٩- وقوفها.

١٠- أسباب نزولها.

١١- إعجازها ووجوه بلاغتها^(١).

= والانطلاق من هذه المعلومات إلى إدراك أعمق لهدايات القرآن، ومقاصده.

إن «مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ؛ فَقَدْ حَمَلَ أَمْرًا عَظِيمًا، وَقَدْ أُدْرِجَتِ التُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ»، فينبغي له أن يستعمل الجد في تفهم هذا الكتاب، وحمل رسالاته، وتبليغ هذه الرسائل التي درست في هذه الأزمان.

(١) مستفاد من مقال لد. مساعد الطيار.

ومما يعين على تثوير الأسئلة، وحسن الفهم، قراءة القرآن في سكون وهدوء، وفي الحديث «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعرين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار، ومنهم حكيم، إذا لقي الخيل، أو قال: العدو، قال لهم: إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم»^(١).

إن لحزب الليل، وترتيل الكتاب في وقت اجتماع القلب = لقصة أخرى، إن مما نعانيه من هذه المادية الطاغية قلب حقائق الكون، إن الليل ليل، والنهار نهار، فلتخل أيها السالك بكتاب ربك في ظلمة الليل، ولتقرأ ما تحفظه، ولتثور القرآن، لتكن من الأمة القائمة التي تتلو كتاب ربها آناء الليل، فتسجد لمن هذا الكلام كلامه، فتقترب!.

ومما يعين على التثوير استعمال الأدب مع الكتاب، إن القرآن كتاب عزيز كريم مجيد، فلا بد من الإقبال بتأدب على هذا الكتاب، وآداب القارئ مبثوثة في مصنفات فلتراجع^(٢).

ومما يعين على التثوير الاهتمام بالتحزيب، فقد كان للقراء تحزيب للقراءة مأخوذ من السنة، وهو المعروف عندهم بـ(فمي بشوق):

١- فالفاء = الفاتحة. ويكون السبع الأول من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة النساء.

٢- والميم = المائة. ويكون السبع الثاني من سورة المائة إلى نهاية سورة التوبة.

٣- والياء = يونس. ويكون السبع الثالث من سورة يونس إلى نهاية سورة النحل.

(١) البخاري: (٤٢٣٢).

(٢) من أمثلها: آداب حملة القرآن للأجري، والتبيان لأبي زكريا النووي.

٤- والباء = بنو إسرائيل . ويكون السبع الرابع من سورة الإسراء (بنو إسرائيل) إلى نهاية سورة الفرقان .

٥- والشين : الشعراء . ويكون السبع الخامس من سورة الشعراء إلى نهاية سورة يس .

٦- والواو = والصفات . ويكون السبع السادس من سورة الصفات إلى نهاية سورة الحجرات .

٧- والقاف = ق . ويكون السبع السابع من سورة ق إلى نهاية سورة الناس خاتمة القرآن .

وهذه جعلت لمن يختم في أسبوع، ولا بأس أن يجعل الإنسان لنفسه ختمة للتدبر، وقد استمرت عند بعض السلف مدة أربعين سنة!

والطرق في الوصول لتلقي القرآن، وتدبره، وما يعين عليه، وموانع ذلك = كثيرة جدًا، فليكتف السالك بكتاب أو كتابين، ثم يعالج هو بنفسه هذا النعيم في الحياة مع هذا الكتاب .

إن من أعظم ما تعانیه قطاعات من المنتسبين للعلم ضعف الاستدلال القرآني في خطاباتهم، بل قد يكون الاستدلال بكلام الغرب والشرق أقرب إليهم من الاستدلال بكلام الله تعالى .

لا شك أن (من المعلوم أنه في تفاصيل آيات القرآن من العلم والإيمان ما يتفاضل الناس فيه تفاضلاً لا ينضب لنا) .

وأن (القرآن الذي يقرأه الناس بالليل والنهار يفاضلون في فهمه تفاضلاً عظيمًا)، ولكن (القرآن مورد يردده الخلق كلهم، وكل ينال منه على مقدار ما قسم الله له)^(١) .

وأختم هذا الكلام بذكر الحديث عن رجل بلغ من علمه بالقرآن أنه ظل يفسر

(١) درء التعارض : (٧/٧٢٤) .

سورة نوح سنة!، ومع ذلك يقول في آخر حياته، وهو في السجن بعد أن انفرد مع القرآن: (قد فتح الله عليّ في هذا الحصن في هذه المرة من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء، كانَ كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن)، ألا رحم الله أبا العباس بن تيمية!

أن تجعل القرآن ربيع قلبي ...

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:

(ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك = أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي؛ إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحًا) قالوا: يا رسول الله ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات؟ قال: (أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن)^(١).

فتأمل قوله: «أن تجعل القرآن ربيع قلبي» هذا هو المطلوب، والسابق وسائل إليه، فانظر أولاً غاية ذلك وصغاره، ونهاية افتقاره وعجزه، وثانياً بين عظمة شأنه وجلالة اسمه ﷺ بحيث لم يبق فيه بقية، وألطف في المطلوب حيث جعل المطلوب وسيلة إزالة الهم المطلوب أولاً.

فقوله: «ربيع قلبي» جعل القرآن ربيعاً له؛ لأن الإنسان يرتاح قلبه في الربيع من الأزمان، ويميل إليه.

أقول: كما أن الربيع زمان إظهار آثار رحمة الله تعالى، وإحياء الأرض بعد موتها، كذلك القرآن يظهر منه تباشير لطف الله من الإيمان والمعارف، وتزول به ظلمات الكفر والجهالة والهموم^(٢).

(١) رواه أحمد: (٢٤٦/٦)، ح (٣٧١٢).

(٢) انظر: شرح المشكاة: (٦/١٩١٠).

القرآن راحة لقلبك، وسكون لنفسك في زمان القلق، السكينة المفقودة!
إن القرآن العظيم له كبير الأثر في تحصيل هذه السكينة، وتلك السكينة «إذا
نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت
الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا
والفحش، واللغو والهجر، وكل باطل»^(١).

وعن البراء، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين،
فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو، وجعل فرسه ينفر منها، فلما أصبح أتى
النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «تلك السكينة تنزلت للقرآن»^(٢).

فالسكينة . . السكينة يا أهل القرآن

إن المرء ليشتاق إلى قارئ هادئ القراءة إذا سمعته حسبت أنه يخشى الله!
إن الصوت المرتفع قد يجلب مزيدًا من البكاء، لكنه يبعد كثيرًا من السكينة!
﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾!

إن رفع الصوت بصورة مزعجة في القراءة، ليست من سنن الهدي، «قال قيس
ابن عباد: -وهو من كبار التابعين-: «كانوا يستحبون خفض الصوت: عند الذكر،
وعند القتال، وعند الجنائز».

وكذلك سائر الآثار تقتضي أنهم كانت عليهم السكينة، في هذه المواطن، مع
امتلاء القلوب بذكر الله، وإجلاله وإكرامه. كما أن حالهم في الصلاة كذلك.
وكان رفع الصوت في هذه المواطن الثلاثة من عادة أهل الكتاب والأعاجم، ثم
قد ابتلى بها كثير من هذه الأمة»^(٣).

بل: ألم يأتك خبر مجالس النور؟!، ففي الحديث: «... وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي

(١) مدارج السالكين: (٢/٤٧٣).

(٢) البخاري: (٥٠١١)، ومسلم: (٧٩٥).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم: (٣٥٨).

بَيَّتْ مِنْ بَيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَعَشِيَّتُهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ . . .».

كلمات ما أحوجنا إليها!

أجزية غالية وهبات سنوية، لواحدة تكفى لأن يصرف الإنسان جهده كله من أجل تحصيلها.

السكينة = نحن في عالم القلق قلوبنا مرتعبة نخاف من المستقبل، نخاف من أنفسنا، نخاف من غيرنا، نخاف من أعدائنا . . .

حتى يكاد الإنسان أن يقول قد أحيط بنا، نحتاج إلى سكينة تدرأ هذا القلق، والله مالكها وهذا شرطها = الاجتماع عليه بشرطه.

التلمذ على آياته وبياناته، فتح الباب إليه، الأخذ من ينابيع ومتفجر الحكمة والبصائر القرآنية.

ما أحوجنا إلى رحمة تحفنا «وهذه موعودة» = تدفع ألوان الشقوة التي امتدت أسبابها للكل.

ما أحوجنا إلى صحبة الملائكة الأعلى الحديث يقول: . . . وَحَفَّتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ . . . صدقوا الغيب لترتقوا!!.

ما أحوجنا إلى أن يحفنا هؤلاء الملائكة العلويون ففي حفوفهم بنا وحياطتهم إيانا = صيانة من ظلمة الشر، ووقاية من أن تمتد إلينا نزغات الشيطان وظلمات النفس.

ما أحوجنا إلى الرابعة وهي هي سموًا وارتقاءً . . . وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ . . . وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ . . .

أكبر من كل هذه الهبات.

لأن الله إذا ذكرك وضع حدًا لشقوتك وبعذك وجفاءك وحدًا لتعاستك وأدرجك ضمن أهله الذين هم أهله وخاصته اللهم امنحنا من هذه الهبات^(١).

(١) من كلام للشيخ الفاضل مصطفى البياوي.

مجالس النور

مجالس القرآن هي مجالس النور، والقرآن قد جاء من عند الله، والذي جاء به روح مطهرة، فما للأرواح الخبيثة عليه سبيل.

والذي يصطفيه الله تعالى لمجالس القرآن مصطفى، لأن القرآن لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به، ولا يحمله بحقه إلا المؤمن، ولا ينال معانيه ويفهمه كما ينبغي، إلا القلوب الطاهرة، وإن القلوب النجسة ممنوعة من فهمه، مصروفة عنه^(١).

ومشروع (مجالس القرآن) - كما يقول الأنصاري-: مسلكٌ تربوي مبسّط؛ لسلوك طريق النور؛ قصد التعرف إلى الله! مشروعٌ ليس لنا فيه من الاجتهاد إلا الجمع والترتيب، ومراعاة التنزيل في واقع جديد! نأخذه كما هو من القرآن والسنة النبوية. مشروعٌ لا مَنَّةَ فيه لأحد، إلا لله! ولا فضل فيه لمبدع أو مخترع، وإنما هو كلام الله! ولا انتماء فيه لقائد أو رائد، ولا لتنظيم أو جماعة! بل هو انتساب تعبدى لله! غايته أن نسعى جميعاً -أنا وأنت، ومن شرح الله صدره للقرآن- للاستظلال بحقيقة مُسَمَّى: (عبد الله)!

(مجالس القرآن) عَرَضٌ متجدد لموائد الروح! فهذا القرآن العظيم أمامك الآن! هذا كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! هذا نور الوحي، وطريق الهدى! فاقراً وافقاً عن الله! فهذه السور والآيات تخاطبك أنت بالذات! أنت، نَعَم أنت! إنها -إن أنصتَ بصدق- تخاطبك الآن في زمانك هذا، وفي

(١) محاسن التأويل: (٩/١٣٢).

ظروفك هذه! ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]! استمع إن كنت من المؤمنين بالله حقا،
الراغبين في التلقي عنه تعالى صِدْقًا!

فعندما يجتمع الجُلَسَاءُ متحلقين بمجالس القرآن، ويشرعون في الاشتغال بكتاب
الله جل علاه؛ فإنما هم في الحقيقة يَصِلُونَ أرواحهم بحبل الله النوراني مباشرة،
ويربطون مصابيح قلوبهم بمصدر النور الأكبر! فإذا بهم يستنيرون بصورة تلقائية،
وبقوة لا نظير لها! وذلك بما اقتبسوا من نور الله العظيم! وإذا بهم يترقون بِمَعَارِجِ
القرآن ومدارجه إلى مشاهدة حقائق الإيمان، مشاهدة لا يُضَامُونَ فيها شيئا! وما
كان للزجاج البلوري إذا أشرقت عليه أنوار الحقائق القرآنية إلا أن يكون مُشِعًا!
وذلك هو مَثَلُ أهل الخير المصلحين في الأرض، وَرَثَةِ الأنبياء من الربانيين
والصّديقين!

وفي الحديث: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض، فضلاً عن كتاب الناس،
يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذُّكْرِ، [وفي رواية مسلم: مجالس الذُّكْرِ] فإذا
وجدوا قوما يذكرون الله [وفي رواية مسلم: فإذا وجدوا مَجَلِسًا فيه ذِكْرٌ] تنادوا:
هلموا إلى حاجتكم! فَيَحْفُوهُمْ بأجنتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو
أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ فيقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك
ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟ فيقولون: لا والله ما رأوك. فيقول: كيف
لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيда، وأكثر لك
تسبيحا. فيقول: فما يسألونني؟ فيقولون: يسألونك الجنة. فيقول: وهل رأوها؟
فيقولون: لا والله يارب ما رأوها. فيقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ فيقولون:
لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة. قال:
فمم يتعوذون؟ فيقولون: من النار. فيقول الله: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله
يارب ما رأوها. فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها
فرارا، وأشد لها مخافة. فيقول: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم! فيقول ملك من

الملائكة: فيهم فلان، ليس منهم، إنما جاء لحاجة! فيقول: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم!).

وقد وضع الأنصاري رحمته عدة ضوابط لإنجاح مجالس القرآن، وتلخيصها كالتالي:

١- تجريد القصد لله! حتى يكون مجلساً تحضره الملائكة بإذن الله؛ وتنزل عليه السكينة، وتغشاه الرحمة، ويذكره الله فيمن عنده! واعلم أن القرآن الكريم لا يفتح بصائره إلا للمقبلين عليه بإخلاص! فلا بد من تجديد النية كلما هممت بالخروج إلى مكان المجلس، فهو مجلسٌ تعبُّدٍ وليس مجلسَ تَعَوُّدٍ!

فإذا أخلصت لله وحده بما تسعى إليه من التدارس والتدبر لكتابه؛ فتح لك من أنوار القرآن ما يشرق على قلبك بمعرفة الله جلَّ جلاله، ويضيء وجدانك بمحبته تعالى! وذقت حقا: ما جمال القرآن العظيم! وشاهدت من ملكوته ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر!

٢- تَحْيِينُ أوقاتِ الانشراحِ النفسي للقرآن، والإقبال الوجداني على الذكر، ومَطَّانُ اليقظة الإيمانية.

٣- مراعاة أدب المجلس، وذلك بالاعتدال في هيئة الجلوس بما يحفظ للعلم وقاره، وللقرآن جلاله. وينبغي أن يكون ذلك بصورة تساعد على حسن الاستماع، وكمال الإنصات! فلا يصح التمدد، ولا الاسترخاء، إلا لمريض أو ذي عذر؛ أو الجلوس بهيأة تخالف الآداب الإسلامية والأذواق العامة.

٤- عدم عقد أكثر من لقاء واحد، أو لقاءين اثنين على الأكثر في الأسبوع الواحد، من لقاءات مجالس القرآن؛ بناء على منهج التَّحَوُّلِ في الموعظة، أي جعل تزود القلب من الإيمان على فترات منتظمة وغير متتابعة؛ حتى لا يَكَلَّ ولا يَمَلَّ.

ويتفرع عن هذا الضابط ضابط آخر، هو: عدم طول وقت المجلس الواحد بما يخرج عن حده.

٥- احترام قواعد تدارس القرآن العظيم من الترتيل بمنهج التلقي، والتعلم والتعليم بمنهج التدارس، والتزكية بمنهج التدبير.

٦- مبادرة أحد الجلساء من أهل العلم أو أهل الحِلْم؛ لتسيير المجلس. فلا بد لمجلس الخير من شخص ينظم سيره، ويرتب أولوياته؛ تجنباً للفوضى والارتجال، أو الانزلاق إلى غير أهداف مجالس القرآن العظيم! وقد يكون هذا المسير من أهل العلم، أو من أهل الصلاح والورع عموماً.

٧- أن يعمد إلى إشراك الجميع في عملية التدارس والتدبير، فالتدارس مشاركة كما تدل عليه صيغة (التفاعل) من عبارته.

ومن القواعد التربوية المساعدة على إشراك الجميع: الحِرْصُ على عدم استفحال عدد الجلساء؛ حتى لا يكون جمهوراً غفيراً! إذ هنالك وجب أن يُؤكّد مجلس قرآني جديد! فرع عن الأول؛ لأن الجمهور الكثير إنما تَوَطَّره المحاضرة، أو الخطبة، أو الدَّرْسُ؛ لا (التَّدارُسُ)! فهذا إنما هو خاصٌّ بِالْحِلْقِ كما تبين في النصوص السابقة! وَالْحَلَقَةُ لا يتصور انعقادها إلا بأعداد معقولة.

٨- تجنب الجلساء الدخولَ في الجَدَلِ العقيم! فما أهلك كثيراً من الناس إلا الجدل!

٩- الإعراض عن اللغو من القول والابتعاد عنه مطلقاً، والتنزه عن سَفَاسِيفِ الكلام، فلا ينبغي أن يخالط مجلس التدارس إلا ما كان من قبيل العلم، والذكر، والتدبير، والتفكير، والاعتبار. وإلا أفسد الشيطان عليك مجلسك وعبادتك! فاستعد بالله منه، واترك لغو الحديث! وتفرغ لذكر الله وحده! وإذا بدر شيء من ذلك من أحد جلسائك فنبهه بأدب وحكمة.

١٠- تحديد أهداف المجلس من التدارس، والتذكير بذلك من حين لآخر. وهو تحصيل التزكية للقلب بكتاب الله تعالى، والتخلق بأخلاق القرآن العظيم، من خلال مسالك التَّدْبِيرِ والتفكير.

ومن القواعد التربوية المحصّنة للمجلس من آفة تبذير الوقت، أو إغراقه بدراسة الوسائل دون الغايات، أو بالخلافيات والجدل العقيم: الاعتماد على توزيع متوازن للوقت بين سائر مواد المجلس، على حسب أهميتها، بدءاً من التلاوة حتى التدارس والتدبر؛ بصورة تعطي لكل مادة حقّها دون أن تطغى على غيرها. ويمكن أن يكون ذلك بصور شتى. فالعبرة إنما هي بالنتيجة. وهي الوصول بالقلوب إلى الدخول الذاتي في جمال القرآن تدارساً وتدبراً؛ لتحصيل التزكية. ومن هنا وجب أن يتحلّى المُسَيِّرُ بالمرونة -وبالدقة أيضاً- ويوازن بين الوسائل والغايات في تنظيم الوقت؛ لتحقيق هذا الهدف النبيل!

١١- أن يُعْتَمَدَ تَفْسِيرٌ مُخْتَصَرٌ من ذلك كله، مما تلقته الأمة بالقبول وأجمع على صحته السلف والخلف.

١٢- يُقْرَأُ الْقُرْآنُ أولاً! مما هو مقصود بالتدارس لذلك المجلس. ويمكن أن تتداول التلاوة بين جميع الحضور أو بين أغلبهم، كما يمكن أن يُكْتَفَى بتلاوة أحدهم فقط، حسب ظروف المجتمعين.

١٣- فإذا تمت حصة التلاوة والاستماع والإنصات إلى كتاب الله، كما يليق بكلام الله؛ فليشرع في قراءة خلاصة التفسير قراءة مسموعة هادئة مفصلة؛ حتى يستوعب أهل المجلس مقاصد الكلام ومراميه، ثم يُشْرَع بعد ذلك في تدارس الخطاب القرآني من خلال ما تحصّل في الذهن من معاني إجمالية للآيات.

وللدخول العملي في التدارس يحسن اتباع الخطوات المنهجية الآتية:

١٤- تَنَاولُ قَدْرٍ قَلِيلٍ من الآيات يُشكّلُ معنى يحسن السكوت عليه، والوقوف عنده.

١٥- يُتَحَقَّقُ من الفهم العام للمعاني التي وردت بها، وأن أهل المجلس على إدراك حسن للمقصود. ويمكن أن تثار الأسئلة حول ما أشكل منها؛ للوصول إلى بيانٍ أشمل وأوضح. ولهذا يمكن مراجعة تفسير الآيات المقصودة بالدراسة أكثر من مرة؛ إن اقتضى الحال.

١٦- فإذا اتضح المعنى؛ وجب -بعد ذلك مباشرة- الدخول في محاولة التعرف على الهدى المنهاجي للآية أو الآيات، وهو عَيْنُ الْحِكْمِ المطلوب تعلّمها، مما ورد في آيات وظائف النبوة: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ). وذلك بمحاولة استنباط الحقائق الإيمانية التي تتضمنها، والأحوال الخُلُقِيَّة التي تُرْشِدُ إليها، ومحاولة عدها باللسان، وإحصائها بالوجدان، وتداول ذلك بين سائر الجُلساء؛ حتى ترسخ بالقلب وتوضح صورتها بما يساعد على تدبّرها.

١٧- وبمعرفة ما تيسر من الحكمة والمقاصد نفتح باب التدبر للآيات، والتفكر في خلق الأنفس والأرض والسموات. وذلك لغاية التخلق بأخلاق القرآن الكريم، والاتصاف السلوكي بحِكْمِهِ العظيمة! والتفكر والتدبر -إذا خلص كلاهما لله- يورثان التخلق بأخلاق القرآن بصورة تلقائية، وبلا كلفة، كما بيناه من قبل بشواهد.

١٨- فإذا تمت مدارسة السورة بأكملها، بهذا المنهج؛ فلا بد -بعد ذلك- من محاولة قطف الثمرات التالية من ثمار المدارسة، وهي:

أ- التعرف على القضايا الأساسية التي تعالجها السورة على الإجمال، وهي حقائقها الإيمانية الكبرى، التي تدور بفلك المحور الرئيس في السورة.

ب- التعرف على المحور الرئيس للسورة على الإجمال.

والضابط الكلي، الجامع لضمان سير مجالس القرآن ونجاحها هو: الحفاظ على ميثاق القرآن العظيم، والالتزام به بقوة! إذ بذلك يعرف المجلس الصادق من غيره. وإنما برهان صدق المجلس، وحقيقة انتسابه إلى أهل الله من (جلساء الملائكة)، ومصداقية ذلك كله متوقفة على مدى التزامه بميثاق القرآن العظيم. وهو عَهْدَان: عَهْدُ فِعْلٍ وَعَهْدُ تَرْكٍ. فأما عهد الفعل فهو يتلخص في ثلاثة التزامات:

- الالتزام الأول: الحفاظ على أوقات الصلوات المفروضة بالمسجد، من الفجر إلى العشاء؛ إلا لضرورة شرعية. مع تأكيد النفس وتوطئتها على صلاة الفجر

وصلاة العشاء، والاجتهاد في ذلك كله لإدراك تكبيرة الإحرام مع الإمام، على قدر الإمكان.

فالصلاة هي خير أعمال المسلم على الإطلاق كما تواتر معناه بطرق شتى! وهي العبادة الوحيدة الحاكمة على ما سواها من الأعمال والعبادات بإطلاق! إذا استقامت للمؤمن حقيقتها وانكشف له سرها؛ استقام له كل شيء من دينه ودينه! كما فصلناه بأدلته بمحلّه، فتأمل!

- الالتزام الثاني: الحفاظ على تلاوة جزء من القرآن الكريم لكل يوم، على الدوام، في الحَضْرِ والسَّفَرِ سواء! حتى يكون ختم القرآن لكل فرد من أفراد المجلس عند نهاية كل شهر. وبهذا يضمن العبد السالك إلى الله زادا إيمانياً يومياً، ومنهجاً لتذكر حقائق الإيمان التي استفادها من مجالس التدارس القرآني. فالتلاوة المستمرة تذكيرٌ وأيُّ تذكير! لمن ذاق حقيقتها وشاهد فضيلتها.

- والالتزام الثالث: الاجتهاد لضم جلس جديد، أو جلساء جُدد؛ إلى مجالس القرآن، متى سنحت الفرصة، أو إنشاء مجلس جديد على التمام. وتلك نعمة إيمانية - إن أكرمك الله بها - ولا كأي نعمة! فالحرص على نشر الخير والدعوة إليه؛ سِمَةٌ أساسيةٌ للمؤمن الصادق، مهما لقي في سبيل ذلك ما لقي من الحرج والعنت.

والآية التي هي الشَّعَارُ الجامعُ لذلك كله من كتاب الله جل ثناؤه، هي ما سبقت الإشارة إليه من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]. تَمْسِيكَ بالكتاب أولاً: وهو الأخذ بحقائقه الإيمانية بقوة، وإقامة للصلاة ثانياً: وهو إحسان أدائها والسير إلى الله عبر موافقتها، ثم انطلاق إلى الإصلاح والدعوة إلى الخير. ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

ولا أفضل في تلك من خدمة كتاب الله تعالى عمومًا! ثم لا أفضل في هذه من

خدمته بإقامة (مجالس القرآن)، والدعوة إلى بنائها وتكثيرها في الأمة، ونشرها بين الأُسَرِ والأقارب، وبين الأُحباب والأصحاب، سواء في صورة (المجالس الأسرية)، أو في صورة (صالونات القرآن).

وأما (عهد الترك) فهو أيضا يتلخص في ثلاثة التزامات، وهي تتحقق عند المؤمن بمعاهدة الله -جَلَّ جَلالُه- على ترك الموبقات الثلاث -أعاذنا الله وإياكم منها!- والانقطاع عنها بتاتا! فلا يصح سيرٌ إلى الله ولا يستقيم؛ ما دام العبد متلبسا بها أو ببعضها، وما دام لم يتب منها توبة نصوحا! وعهده فيها هو كما يلي:

- معاهدة الله -جَلَّ جَلالُه- على ترك المال الحرام، وعلى رأسه الربا بكل صورته، وكذلك كل كَسْبٍ حرام، وأكل أموال الناس بالباطل، من رشوة وغيرها.
- معاهدة الله على ترك الزنا، وعدم الاقتراب من طريقه، وأسبابه، ومقدماته، وتجلياته، من مُخَادَنَةٍ، وَبَدَاءَةٍ، وَعُزْيٍ، وَفُحْشٍ في اللباس والكلام والأخلاق... إلخ. وكذا مجاهدة النفس على غَضِّ البصر، وترك النظر الحرام! لأن النظر الحرام يطمس البصيرة، ويذهب بالحياء، ويطفئ نور التقوى في القلب، ويخسف بجمال الورع في النفس، ثم يمسح وجه صاحبه! وهو سبب كثير من الفساد والبلاء، والعياذ بالله! فلا تستهن به!

- معاهدة الله تعالى على ترك الخمر، ومقاطعتها من كل الوجوه بتاتا: شربها، وإنتاجها، وتجارتها، وسائر الخدمات القائمة عليها بإطلاق! ومحاربة ملحقاتها من سائر أنواع المخدرات!

فإذا ثقلت عليك الانطلاقة إلى الله، ولم ينكشف لك نور القرآن، ولم تتبين لك حقائقه الإيمانية بمجالسه، أو لم تستقم لك الصلوات الخمس على مواقيتها وجماعاتها، أو لم يتخلص لك خشوعها وجمالها؛ فراجع نفسك في هذه الموبقات الثلاث! أو في ملحقاتها! وانظر: ما مدى أدائك لحق الله فيها؟ فإنه

لا يستقيم للعبد سَيْرٌ إلى مولاه؛ ما لم تزل فيه لَوْثَةٌ من هذه اللوثات الثلاث!
فلتحرر من عبادة الشيطان أولاً! حتى تكون عبداً لله بحق، وتستحق صفة (جليس
الملائكة)! فإنما (الجلساء) هم الأتقياء! وأنشد يقال لهم ولمن معهم: (هم الجلساء
لا يشقى بهم جليسهم!)^(١).

(١) مجالس القرآن للأنصاري، بتصرف، وهو كتاب حريٌّ أن يرجع إليه.

والقرآن حجة لك أو عليك!

هل أتاك نبأ تلك الرؤيا التي رآها النبي ﷺ، وقصها على أصحابه؟! تلك الرؤيا فيها خبر مرعبٌ حقاً، فقد حكى النبي ﷺ أن صاحبيه قالوا له انطلق، قال: «فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر -أو صخرة- فيشدخ به رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه، فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو، فعاد إليه، فضربه، قلت: من هذا؟ قالوا: . . . والذي رأيته يشدخ رأسه، فرجل علمه الله القرآن، فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يفعل به إلى يوم القيامة»^(١).

لهذه الدرجة، أنعم الله عليه . . آتاه القرآن، لكنه ترك كل ذلك، ونام عنه، ولم يعمل به، فكان هذا جزائه، فاللهم سلم . . سلم.

فالقرآن حجة لك في الدنيا والآخرة، فأما الدنيا، فعن عامر بن وائلة، أن نافع بن عبد الحارث، لقي عمر بعسفان، وكان عمر يستعمله على مكة، فقال: من استعملت على أهل الوادي، فقال: ابن أبنى، قال: ومن ابن أبنى؟ قال: مولى من موالي، قال: فاستخلفت عليهم مولى؟ قال: إنه قارئ لكتاب الله ﷻ، وإنه عالم بالفرائض، قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً، ويضع به آخرين»^(٢).

مولى من الموالى رفعه الله بهذا الكتاب المجيد، فكان حجة له .

(١) رواه البخاري: (١٣٨٦).

(٢) رواه مسلم: (٨١٧).

وحجة في الآخرة أيضًا، فعن النواس بن سمعان رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»^(١).

والقرآن حجة لعبد عرفه، وشهادة له بخروجه من العمى للإبصار، ﴿وَإِنَّمَا يَأْتِيهِمْ لَيْلٌ مِّنَ اللَّيْلِ مَعِ تِلْكَ الْقُرْآنُ فَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ [الرعد: ١٩].
وحجة على عبد أعرض عنه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٩﴾ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه: ٩٩-١٠٠].

والقرآن حجة لك وشاهد بالخيرية إن تعلمته وعلمته، فعن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج قال: وذلك الذي أقعديني مقعدي هذا^(٢).

وعن سهل بن سعد، قال: أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة، فقالت: إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما لي في النساء من حاجة»، فقال رجل: زوجنيها، قال: «أعطاها ثوبا»، قال: لا أجد، قال: «أعطاها ولو خاتما من حديد»، فاعتل له، فقال: «ما معك من القرآن؟» قال: كذا وكذا، قال: «فقد زوجتكها بما معك من القرآن»^(٣).

والقرآن حجة لك ونجاة من الهلكة والضلال، وفي الحديث: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله»^(٤).
فالقرآن حجة لك أو عليك، فانظر إلى أيهما تصير.

(١) رواه مسلم: (١٩١٢).

(٢) رواه البخاري: (٥٠٢٧).

(٣) رواه البخاري: (٥٠٢٩).

(٤) رواه مسلم: (١٢١٨).

إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً

فهم المصطلحات التي يتداولها الناس من الأمور المستحسنة، والتفريق بينها، وبيان حدودها = معين على عدم الوقوع في الخطأ.

ومن هذا المنطلق سأحاول أن أعرض للفرق بين ثلاثة مصطلحات يقع بسبب الخلط بينها تجرؤ على كتاب الله، ونوع من القول على الله بلا علم، وهي: (التفسير - التدبر - التأثر)، وسأحاول أن أذكر خلاصة الأمر، لأن تطويل البحث بذكر النقولات قد لا يفيد عامة المقصودين من هذا البحث! فأقول:

• التفسير هو بيان معاني القرآن العظيم^(١).

وهذا البيان إما أن يصل إليه المفسر اجتهاداً، وإما أن يصل إليه تقليدًا. والاجتهاد على قسمين:

١- الاجتهاد في بيان المعنى المراد من الآية، وأئمة المجتهدين هم الحجة^(٢) من الصحابة والتابعين وأتباعهم.

٢- أن يجتهد في التخير من أقوال المجتهدين السابقين، أو بناء الأقوال على أقوالهم، وهم على طبقات شتى، ومن أجلهم الإمام ابن جرير، وابن عطية،

(١) هذا أصح ما قيل في تعريف التفسير، وأكثره تحريراً واختصاراً، انظر: التفسير اللغوي، ومفهوم التفسير، د/ مساعد الطيار.

(٢) من مصطلحات الإمام شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري، انظر: جامع البيان: (٧/١)، (٢٩٨/١).

وشيخ الإسلام ابن تيمية، وكثير غيرهم^(١).

وتكاد كلمة العلماء تتفق على أهمية علم التفسير، وأنه من أعوص العلوم، ويقصدون بذلك حقيقة كيفية الوصول للمعنى من الآيات، وأنه يحتاج إلى آلات قد لا تيسر للإنسان إلا بجهد جهيد، ومن ذلك قول الإمام ابن عطية: «فإني لما رأيت العلوم فنونا، وحديث المعارف شجونا، وسلكت فإذا هي أودية، وفي كل للسلف مقامات حسان وأندية، رأيت أن الوجه لمن تشزن للتحصيل، وعزم على الوصول، أن يأخذ من كل علم طرفا خيارا، ولن يذوق النوم مع ذلك إلا غرارا، ولن يرتقي هذا النجد، ويبلغ هذا المجد، حتى ينضي مطايا الاجتهاد، ويصل التأويب بالإسئاد، ويطعم الصبر ويكتحل بالسهاد، فجريت في هذا المضمار صدر العمر طلقا، وأدمنت حتى تفسخت أينا وتصيبت عرقا، إلى أن انتهج بفضل الله عملي، وحزت من ذلك ما قسم لي، ثم رأيت أن من الواجب على من احتبى، وتخير من العلوم واجتبى، أن يعتمد على علم من علوم الشرع، يستنفد فيه غاية الوسع، يجوب آفاقه، ويتبع أعماقه، ويضبط أصوله، ويحكم فصوله، ويلخص ما هو منه، أو يؤول إليه، ويعنى بدفع الاعتراضات عليه، حتى يكون لأهل ذلك العلم كالحصن المشيد، والذخر العتيد، يستندون فيه إلى أقواله، ويحتذون على مثاله.

فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتنها جبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنوارا، علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، الذي استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض، هو العلم الذي جعل للشرع قواما، واستعمل سائر المعارف خداما منه

(١) يقول الإمام ابن عطية: (وإنما عبر علماء السلف في ذلك - أي التفسير - بعبارات على جهة

المثالات، فجعلها المتأخرون أقوالاً)!

تأخذ مبادئها، وبه تعتبر نواشئها، فما وافقه منها نصح وما خالفه رفض ودفع، فهو عنصرها المنير، وسراجها الوهاج، وقمرها المنير.

وأيقنت أنه أعظم العلوم تقريبا إلى الله تعالى، وتخليصا للنيات، ونهيا عن الباطل، وحضا على الصالحات، إذ ليس من علوم الدنيا فيختل حامله من منازلها صيدا، ويمشي في التلطف لها رويدا.

ورجوت أن الله تعالى يحرم على النار فكرا عمرته أكثر عمره معانيه، ولسانا مرن على آياته ومثانيه، ونفسا ميزت براعة رصفه ومبانيه، وجالت سومها في ميادينه ومغانيه، فثبتت إليه عنان النظر، وأقطعت جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر، وما ونيت -علم الله- إلا عن ضرورة بحسب ما يلزم في هذه الدار من شغوب، ويمس من لغوب، أو بحسب تعهد نصيب من سائر المعارف.

فلما سلكت سبله بفضل الله ذللا، وبلغت من اطراد الفهم فيه أملا، رأيت أن نكته وفوائده تغلب قوة الحفظ وتفدح، وتسبح لمن يروم تقييدها في فكره وتبرح، وأنها قد أخذت بحظها من الثقل، فهي تنفص من الصدر تفصي الإبل من العقل.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنَلِقِيَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥].

قال المفسرون: أي علم معانيه والعمل بها . . .
وأنا وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زماني، واستفرغت فيه مني، إذ كتاب الله تعالى لا يتفسر إلا بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي . . .^(١).

وقد آثرت أن أنقله بتمامه، لتعرف مدى الجهد الذي ينبغي أن يبذله طالب علم التفسير، للوصول للمعاني من الآيات.

(١) المحرر الوجيز: (١/٣٣-٣٥)، وانظر: مقدمة الزمخشري لكتابه الكشاف.

فخلاصة الأمر، أن التفسير علم عظيم، خطير، جليل، وهو من أعوص علوم الشريعة، لا كما يظن.

ومتعلقه كلام الله تعالى، وهو شرح له وبيان عن معانيه وأحكامه، قدر الطاقة البشرية.

ومن ثم فإن مسؤوليته عظيمة، والكلام فيه بغير علم كاف وتحقيق تام = من الافتراء على الله، والقول عليه بغير علم، ولذا كان كثير من السلف، أصحاب الفهوم الصحيحة، والألسن الفصيحة، يتورعون عن الكلام فيه بحرف، ويقولون الله أعلم بما قال، وما عندهم من العلم في القرآن أعظم مما عند أكبر كابر في الخلف، والآثار عن شيخي الإسلام ووالدي المسلمين أبي بكر وعمر في الكلام في القرآن بالرأي محفوظة مشهورة.

وكثير من الناس يظن أن التفسير مجرد (تأليف)، وكتابة إنشاء حلوة حول الآيات، كتفسير نص شعري، ولربما سماه تأملاً، أو خواطراً، وغير ذلك، ولا يعني هذا عن التبعة المذكورة^(١).

• أما التدبر فأقرب ما يمكن أن يقال في تعريفه، «تأمل القرآن بقصد الاتعاظ والامتثال»^(٢).

أو «الوقوف مع الآيات والتأمل فيها، والتفاعل معها؛ للانتفاع والامتثال»^(٣).
- وهذا التدبر لا بد أن يسبقه فهم للمعنى المراد من الآية، إذ محل التدبر مدلولات الآيات، يقول الإمام الطبري رحمته الله في تقرير هذا المعنى: «وفي حث الله ﷻ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن، من المواعظ والتبيان، بقوله جل ذكره، لنبية ﷺ: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَ أَتَيْنَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وقوله:

(١) من كلام للشيخ/ عمرو بسيوني.

(٢) انظر: تحرير معنى التدبر عند المفسرين، د. فهد الوهبي.

(٣) مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، د. محمد الربيعة.

﴿وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٧٧) ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨] وما أشبه ذلك من آي القرآن، التي أمر الله عباده، وحثهم فيها، على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه، ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيات.

لأنه محال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به، ولا معرفة من القيل والبيان إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به. فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره، وهو بمعناه جاهل، كما محال أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلام العرب ولا يفهمونه. لو أنشدت قصيدة شعر من أشعار بعض العرب، ذات أمثال ومواعظ وحكم: اعتبر بما فيها من الأمثال، وادكر بما فيها من المواعظ إلا بمعنى الأمر لها بفهم كلام العرب ومعرفته، ثم الاعتبار بما نبهه عليه ما فيها من الحكم، فأما وهي جاهلة بمعاني ما فيها من الكلام والمنطق؛ فمحال أمرها بما دلت عليه معاني ما حوته من الأمثال والعبر، بل سواء أمرها بذلك وأمر بعض البهائم به، إلا بعد العلم بمعاني المنطق والبيان الذي فيها.

فكذلك ما في آي كتاب الله، من العبر والحكم والأمثال والمواعظ، لا يجوز أن يقال: اعتبر بها، إلا لمن كان بمعاني بيانه عالما، وبكلام العرب عارفا، وإلا بمعنى الأمر لمن كان بذلك منه جاهلا، أن يعلم معاني كلام العرب، ثم يتدبره بعد، ويتعظ بحكمه ووصوف عبره.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله جل ثناؤه، قد أمر عباده بتدبره، وحثهم على الاعتبار بأمثاله، كان معلوما أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه آيه جاهلا. وإذا لم يجز أن يأمرهم بذلك، إلا وهم بما يدلهم عليه عالمون، صح أنهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية، الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه، الذي قد قدمنا صفته آنفا عارفون^(١).

(١) جامع البيان: (٧٦/١).

وعليه، فيمكن التفريق بين التدبر والتفسير من عدة وجوه:

١- أن التفسير هو كشف المعنى المراد في الآيات، والتدبر هو ما وراء ذلك من إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها، واعتقاد ما دلت عليه وامتناله.

٢- أن التدبر أمر به عامة الناس للانتفاع بالقرآن والاهتداء به، ولذلك خوطب به ابتداءً الكفار في آيات التدبر، والناس فيه درجات بحسب رسوخ العلم والإيمان وقوة التفاعل والتأثر.

وأما التفسير فمأمور به بحسب الحاجة إليه لفهم كتاب الله تعالى بحسب الطاقة البشرية، ولذا فإن الناس فيه درجات كما قال ابن عباس: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله».

٣- أن التدبر لا يحتاج إلى شروط إلا فهم المعنى العام مع حسن القصد وصدق الطلب، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، أما التفسير فله شروط ذكرها العلماء، لأنه من القول على الله، ولذا تورع عنه بعض السلف^(١).

• ومما ينبغي أن يُعلم أن الناس على درجات متفاوتة في التدبر بحسب آلتهم وإمكاناتهم، فليس تدبر العالم المتبحر في الشريعة كتدبر العامي، ولكل درجات، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

على أن كثيرًا من الناس قد يتجرأ على كتاب الله تعالى فيفسره بمعهود قومه، أو بما يهجم على خاطره من المعاني، وقد يسمي ذلك خواطر أو تأملات أو تدبر أو غير ذلك، وهذا من الخطأ ومجانبة للصواب.

(١) مفهوم التدبر في ضوء القرآن والسنة وأقوال السلف وأحوالهم، د. محمد الربيعية.

ولست أريد من هذا المقال بيان كيفية التدبر، والمعين عليه، وموانع ذلك، إلى غير ذلك، فقد أفردت مصنفات في بيان ذلك^(١)، ولكنني أريد أن أبين أن الله تعالى حين شرع التدبر للناس لم يشرع لهم أن يتجرؤوا على كتابه، بل هذا أمر لهم بتحصيل الآلة المعينة على تدبر القرآن^(٢).

ولذلك فسأطرح هنا خطوات عملية لمريد التدبر أن يسلكها لينجو إن شاء الله تعالى من الوقوع في المحذور:

أولاً: على مريد التدبر أن يتعرف على المعنى الإجمالي للآيات -على الأقل- ليضبط تدبره^(٣)، «إن التدبر هو مرحلة ما بعد التفسير . . ! أي ما بعد الفهم للآية. لكن الفهم المطلوب لتحصيل التدبر إنما هو الفهم الكلي العام، أو بعبارة أخرى: الفهم البسيط. ولا يشترط في ذلك تحقيق أقوال المفسرين والغوص في دقائق كتب

(١) ومنها:

- ١- تدبر القرآن، لسلمان السنيدي.
 - ٢- قواعد التدبر، للشيخ العلامة عبد الرحمن حبنكة الميداني.
 - ٣- المراحل الثمان، لعصام العويد.
 - ٤- مجموع أوراق العمل بالملتقى العلمي الأول للتدبر، والملتقى الثاني.
 - ٥- تعليم تدبر القرآن الكريم: للدكتور هاشم بن علي الأهدل.
- وغيرها كثير، ويمكن متابعة إصدارات مركز تدبر ففيها خير كبير.
- (٢) ومما ينبغي التنبه له: أنه يكثر -في شهر رمضان- تجرؤ كثير من الناس على كتاب الله بالتفسير والبيان، تحت مسميات مختلفة:

- تدبر .

- خواطر .

- لطائف .

وكثير من الدعاة يهجم على الآيات، بل قد يفسرها بمعهود قومه، وكل هذا من القول على الله بلا علم!

(٣) ككتاب التفسير الميسر، والمختصر في التفسير.

التفسير! وإلا صار القرآن موجهاً إلى طائفة محصورة فقط! ومن ثم يمكن لأي شخص أن يتدبر القرآن بعد التحقق من المعنى المشهور للآية، يقرأها من أي تفسير أو يسمعها. ^(١).

ثانياً: كلما ازدادت معرفتك بالآية، وسبب نزولها، وفضلها . . -إن وجد- فإن تدبرك سيكون أعمق، فلا تقتصر على الكتب التي تحمل المعنى الإجمالي، بل عليك بما هو أوسع من ذلك ^(٢).

ثالثاً: من أعظم طرق التدبر «تثوير القرآن» ^(٣)، ومراجعة حل ما ثورته على نفسك من كتب التفسير، أو أحد من أهل العلم بكتاب الله تعالى.

رابعاً: لا تبادر بنشر ما توصلت إليه إلا بعد مراجعة ونظر وتدارس، ولا تستنكف من قبول الحق إن بان فيما توصلت إليه خطأ نهك غيرك على وجه الصواب فيه.

• أما التأثير فهو ضرب من ضروب التدبر، وهو ما يسميه بعض العلماء «التدبر الوجداني» ^(٤)، وهذا التأثير يختلف عن التدبر بالمعنى المتقدم بأنه قد لا يحتاج إلى تأمل عقلي أو إلى معرفة بالدلالات العميقة للآيات.

ولا بد من التنبيه على أن بعض المشركين، وبعض الأعاجم يقع عنده من التأثير بالقرآن مع عدم معرفة المعنى، إذ للقرآن سطوة على النفوس!

وإنما نبهت على ذلك لأنه قد يخلط بعض الناس بين التدبر والتأثير من سماع القرآن، فيجعلون القشعريرة التي تصيب الإنسان والخشوع الذي يلحقه بسبب تأثير القرآن عليه هو التدبر، وليس الأمر كذلك.

(١) هذه رسالات القرآن، للأصاري: (٦١).

(٢) كمختصرات ابن كثير، والمعين لمجد مكي.

(٣) انظر حول هذا المعنى مقال: «تثوير القرآن».

(٤) رسالات القرآن، فريد الأنصاري: (٨١).

فالتدبرُ عمليةٌ عقليةٌ تحدثُ في الذهنِ، والتأثرُ انفعالٌ في الجوارحِ والقلبِ، وقد يكونُ بسببِ التدبرِ، وقد يكونُ بسببِ روعةِ القرآنِ ونظمه، وقد يكونُ بسببِ حالِ الشخصِ في تلكِ اللحظة، واللهُ أعلمُ^(١).

• تنبيهات:

١- ثم فرق بين التفسير وبين المعلومات الموجودة في كتب التفسير، فليس كل معلومة موجودة في كتب التفسير هي من صلب علم التفسير، إذ كل علم له بالقرآن تعلق، وقد يستطرد المفسر في علم برع فيه، فيتكلم عليه في سياقات كلامه عن الآيات^(٢)، وقد يذكر بعض اللطائف والفوائد وغير ذلك.

وهذه اللطائف والفوائد هي في الحقيقة نوع من التدبر للقرآن المجيد.

٢- «كُلُّ عَالِمٍ أَوْ كَلُّ مَفْسِّرٍ مُتَدَبِّرٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مُتَدَبِّرٍ مَفْسِّرًا!» فتأمل . . .^(٣)!

ختامًا: إن بعض ما يسميه الناس تدبرات وخواطر، إنما هي في الحقيقة «أمنيات» = أي: أنه يتمنى أن تكون الآية كما يتمنى هو لا ما هي عليه على الحقيقة!!

فلتحذر من أن تحمل الآيات على ما تريد، فإنه اتباع للهوى، وقانا الله منه .
وفي الختام أسأل الله ﷻ أن يوفقنا لفهم كتابه، والعمل به، وأن يقينا شر أنفسنا، وسيئات أعمالنا، والحمد لله رب العالمين.

(١) مفهوم التفسير، والتأويل: (٢٠٤).

(٢) انظر مقال: علم التفسير وسؤال المنهجية، للكاتب.

(٣) هذه رسالات القرآن: (٧٠).

لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله!

كانت للسلف رضوان الله عليهم عناية بالغة بكتاب الله تعالى من جوانب شتى، وهذه العناية أثر من آثار تمسكهم بهدي النبي صلى الله عليهم وسلم، وقد برز تعاهدهم للقرآن الكريم في عدة جوانب، ومنها^(١):

• محبتهم للقرآن، وإقبالهم عليه:

- إن من يعرف نعمة الله ﷻ عليه بالقرآن يتلوه ويتدبره ويعمل به، ويقدرها حق قدرها ولا يزال موصولاً مرتبلاً بها، يسأل ربه جل وعلا ألا يحرمه إياها وألا يمنعه بركتها وخيرها، بل يتحسر عند انقطاعها ويحزن على ذلك، وذلك دليل صدق المحبة والرغبة، ومن أمثلة ذلك ما رواه أنس، قال: قال أبو بكر ﷺ، بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: «انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله ﷺ يزورها، فلما انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله ﷺ؟ فقالت: ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء. فجعلا يبكيان معها»^(٢).

(١) من الكتب المهمة في هذا الباب:

١- معرفة القراء الكبار، للإمام الذهبي.

٢- غاية النهاية، للإمام ابن الجزري.

٣- حال السلف مع القرآن، د. بدر بن ناصر البدر، دار الحضارة، وقد استفدت منه كثيراً.

٤- منهج السلف في العناية بالقرآن، د. بدر بن ناصر البدر.

(٢) رواه مسلم: (٢٤٥٤).

- وكان أبو الحلال ربيعة بن زرارة العتكي يقوم آخر الليل بالصلاة والدعاء وتلاوة القرآن مع إطالة السجود والانكسار والتذلل بين يدي الله عزو جل، ولما كبر سنه وضع له مقام مرتفع يسجد عليه، وكان يقول في سجوده: «اللهم لا تسلبني القرآن»^(١).

- وعن ثابت البناني، ورجل آخر: «أنهما دخلا على مطرف وهو مغمى عليه، قال: فسطعت معه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه، ونور من رجله، فهالنا ذلك، فأفاق، فقلنا: كيف أنت يا أبا عبد الله؟ قال: صالح. فقيل: لقد رأينا شيئاً هالنا. قال: وما هو؟ قلنا: أنوار سطعت منك. قال: وقد رأيتم ذلك؟ قالوا: نعم. قال: تلك تنزيل السجدة، وهي تسع وعشرون آية، سطع أولها من رأسي، ووسطها من وسطي، وآخرها من قدمي، وقد صورت تشفع لي، فهذه ثوابية تحرسني»^(٢).

- وعن الزهري: «سألت علي بن الحسين عن القرآن؟ فقال: كتاب الله وكلامه»^(٣).

- وعن نافع، قال: «لما غسل أبو جعفر القارئ -أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات-، نظروا ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف، فما شك من حضره أنه نور القرآن»^(٤).

- وقال سحنون: «رأيت ابن القاسم في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: وجدت عنده ما أحببت. قلت: فأبي عمل وجدت؟ قال: تلاوة القرآن. قلت: فالمسائل؟ فأشار يلشيها. وسألته عن ابن وهب، فقال: في عليين»^(٥).

(١) حلية الأولياء: (١٠٥/٣).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١٩٤/٤).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٣٩٦/٤).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٢٨٨/٥).

(٥) سير أعلام النبلاء: (١٢٢/٩).

- وقال فروة بن نوفل الأشجعي: «كنت جارا لخباب، فخرجت يوما معه إلى المسجد، وهو أخذ بيدي، فقال: يا هناه، تقرب إلى الله بما استطعت، فإنك لن تقرب إليه بشيء أحب إليه من كلامه»^(١).

• عنايتهم بالقرآن:

كان السلف يعنون بالقرآن تلاوةً، وحفظًا، وتدبرًا، ومن ذلك:

- فعن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كان إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه»^(٢).

- وقال بن يحيى بن معاذ -الرازي-: «أشتهي من الدنيا شيئين: بيتًا خاليًا، ومصحفًا جيد الخط أقرأ فيه القرآن»^(٣).

- وقال الضحاك بن مزاحم: «ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه إلا بذنب يحدثه؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصْبِكَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب»^(٤)، وعن أبي العالية قال: «كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه»^(٥).

- وعن أبي وائل، قال: أتى عبد الله -ابن مسعود- بمصحف قد زين بالذهب، فقال عبد الله: «إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق»^(٦).

وكانوا يجتهدون في تلاوة القرآن:

- فقد كان الحسن بن أبي الحسن البصري يقول: «تفقدوا الحلاوة في ثلاث:

(١) سير أعلام النبلاء: (١١/٢٨٤).

(٢) البخاري: (٤٥٢٦).

(٣) التذكار في أفضل الأذكار: (ص: ١٧٧ - ١٧٨).

(٤) أبو عبيد، فضائل القرآن: (١/٢٠٢).

(٥) فتح الباري: (٩/٨٦).

(٦) مصنف بن أبي شيبة: (٣٠٢٣٥).

الصلاة، والقرآن، والدعاء، فإن وجدتموها فاحفظوا واحمدوا الله على ذلك، وإن لم تجدوها فاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة»^(١).

- وعن ابن شوذب، قال: «كان عروة بن الزبير يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف ويقوم به ليله» قال: «فما تركه إلا ليلة قطع رجله» قال: «ثم عاود حزبه من الليلة المقبلة»^(٢).

- وعن إبراهيم، قال: «كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال»^(٣).

- وقال عمرو بن عبد الرحمن بن محيريز: «كان جدي يختم في كل جمعة، وربما فرشنا له، فلم ينم عليه»^(٤).

- وقال سلام بن أبي مطيع: «كان قتادة يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان، ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر، ختم كل ليلة»^(٥).

- وقال ابن وهب: «قيل لأخت مالك: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، التلاوة»^(٦).

- وقال أحمد بن ثعلبة: «سمعت سلما الخواص، قال: قلت لنفسي: يا نفس، اقرئي القرآن كأنك سمعته من الله حين تكلم به، فجاءت الحلوة»^(٧).

(١) شعب الإيمان: (٦٨٣٤).

(٢) حلية الأولياء: (١٧٨/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٥١/٤).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٤٩٥/٤).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٢٧٦/٥).

(٦) سير أعلام النبلاء: (١١١/٨).

(٧) سير أعلام النبلاء: (١٨٠/٨).

- وعن حسين العنقزي، قال: «لما نزل بابن إدريس الموت، بكت بنته. فقال: لا تبكي يا بنية، فقد ختمت القرآن في هذا البيت أربعة آلاف ختمة»^(١).

- وقال الربيع بن سليمان من طريقين عنه، بل أكثر: «كان الشافعي يختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة. ورواها ابن أبي حاتم عنه، فزاد: كل ذلك في صلاة»^(٢).

- وقال أبو بكر بن زياد النيسابوري: «سمعت الربيع يقول: كان الشافعي يختم القرآن في كل رمضان ستين ختمة، وفي كل شهر ثلاثين ختمة، وكان يحدث وطست تحته، فقال يوما: اللهم إن كان لك فيه رضى، فزد. فبعث إليه إدريس ابن يحيى المعافري -يعني: زاهد مصر-: لست من رجال البلاء، فسل الله العافية»^(٣).

- وعن مسبح بن سعيد قال: «كان محمد بن إسماعيل يختم في رمضان في النهار كل يوم ختمة، ويقوم بعد التروايح كل ثلاث ليال بختمة»^(٤).

- وقال أبو عبد الله بن بشر القطان: «ما رأيت أحسن انتزاعا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل، والتلاوة، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه»^(٥).

وقد كانوا يخافون ويحزنون إذا ضاع حزبهم من القرآن:

- قال أبو داود الجفري: «دخلت على كرز بن وبرة بيته فإذا هو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: إن بابي مغلق، وإن ستري لمسبل، ومنعت حزبي أن

(١) سير أعلام النبلاء: (٤٤/٩).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٣٦/١٠).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٨٣/١٠).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٤٣٩/١٢).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٥٢١/١٥).

أقرأه البارحة، وما هو إلا من ذنب أحدثته»^(١).

- وعن أبي سعيد الخدري، قال: «عليك بتقوى الله، فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض، وعليك بالصمت إلا في حق، فإنك تغلب الشيطان»^(٢).

- وقال أبو الأحوص: قال لنا أبو إسحاق السبيعي: «يا معشر الشباب، اغتنموا - يعني: قوتكم وشبابكم - قلما مرت بي ليلة إلا وأنا أقرأ فيها ألف آية، وإنني لأقرأ البقرة في ركعة، وإنني لأصوم: الأشهر الحرم، وثلاثة أيام من كل شهر، والاثنين، والخميس»^(٣).

وأما عنايتهم بحفظ القرآن؛ فكثير، منه:

- ما ثبت عن عبد الله بن مسعود: «والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة»^(٤).

- وقال قتادة لسعيد بن المسيب: «خذ المصحف فأمسك علي» قال: فقرأ سورة البقرة فما أسقط منها واوا ولا ألفا ولا حرفا فقال: يا أبا النضر أحكمت قال: «نعم»، قال: «لأنا لصحيفة جابر أحفظ مني لسورة البقرة وإنما قدمت عليه مرة واحدة»^(٥).

- وقال أبو بكر بن عياش: «كان الأعمش يعرض القرآن، فيمسكون عليه المصاحف، فلا يخطئ في حرف»^(٦).

(١) السابق: (٧٩/٥).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١٧٠/٣).

(٣) السابق: (٣٩٧/٥).

(٤) البخاري: (٥٠٠٠).

(٥) حلية الأولياء: (٣٣٤/٢).

(٦) سير أعلام النبلاء: (٢٣٥/٦).

- وقال أبو عبد الله بن بشر القطان: «ما رأيت أحسن انتزاعا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد، وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل، والتلاوة، فلكثرته درسه صار القرآن كأنه بين عينيه»^(١).

- وقال جعفر بن سليمان الضبعي: «كان مالك بن دينار من أحفظ الناس للقرآن وكان يقرأ علينا كل يوم جزءا من القرآن حتى ختم فإن أسقط حرفا قال: بذنب مني وما الله بظلام للعبيد»^(٢).

ومن وجوه عنايتهم بالقرآن، قيامهم الليل بالقرآن:

- يقول علي بن أبي طالب عليه السلام: «لقد رأيت أثرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فما أرى أحدا يشبههم، والله إن كانوا ليصبحون شعثا غربا صفرا، بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله، يراوحون بين أقدامهم وجباههم، إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة في يوم ريح، فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين»^(٣).

- وعن الربيع بن أنس عليه السلام قال: «كان أبو بكر عليه السلام إذا صلى من الليل خفض صوته جدا، وكان عمر عليه السلام إذا صلى رفع صوته جدا، فقال عمر عليه السلام: يا أبا بكر لو رفعت من صوتك شيئا وقال أبو بكر عليه السلام: يا عمر لو خفضت من صوتك شيئا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبراه بأمرهما فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا﴾ الآية فأرسل النبي صلى الله عليه وآله إليهما فقال: يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا وقال لعمر عليه السلام: اخفض من صوتك شيئا»^(٤).

- وعن سفيان، قال: بلغنا أن أم الربيع بن خثيم، كانت تنادي ابنها الربيع

(١) السابق: (٥٢١/١٥).

(٢) حلية الأولياء: (٢٨٨/٦).

(٣) حلية الأولياء: (٧٦/١).

(٤) الدر المنثور: (٣٥٠/٥).

فتقول: يا بني يا ربيع ألا تنام فيقول: «يا أمه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن لا ينام»^(١).

- ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال: «اللهم إن كنت تعلم أنني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الشجر، ولكن لظماً الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر»^(٢).

- وقال عمرو بن عتبة بن فرقد: «سألت الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين وأنا أنتظر الثالثة؛ سألته أن يزهديني في الدنيا، فما أبالي ما أقبل منها وما أدبر، وسألته أن يقويني على الصلاة، فرزقني منها، وسألته الشهادة، فأنا أرجوها»^(٣).

وكان إذا فاتهم الحزب قضوه:

- يقول عبد الرحمن بن عبد القاري: استأذنت على عمر بالهجرة، فحبسني طويلاً، ثم أذن لي، وقال: «إني كنت في قضاء وردي»^(٤).

- وعن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي، قال: دخلت على عبد الله بن عمرو وهو يقرأ في المصحف، فقلت له، فقال: «هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة»^(٥).

- وعن إبراهيم النخعي، قال: «كان أحدهم إذا بقي عليه من جزئه شيء، فنشط، قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى». قال: «وربما زاد أحدهم»^(٦).

وكانوا يعتنون بترتيل القرآن، وتحسين الصوت به:

- قال سعيد بن عبد العزيز: حدثني أبو يوسف حاجب معاوية: أن أبا موسى

(١) حلية الأولياء: (١١٤/٢).

(٢) الزهد لأحمد: (١٠١١).

(٣) حلية الأولياء: (١٥٥/٤).

(٤) فضائل القرآن: (١٨٥/١).

(٥) السابق.

(٦) السابق: (١٨٧/١).

الأشعري قدم على معاوية، فنزل في بعض الدور بدمشق، فخرج معاوية من الليل ليستمع قراءته^(١)؛ وقال أبو عثمان النهدي: «ما سمعت مزمارًا ولا طنبورًا ولا صنجًا أحسن من صوت أبي موسى الأشعري؛ إن كان ليصلي بنا فنود أنه قرأ البقرة من حسن صوته»^(٢). وفي رواية: «كان أبو موسى يصلي بنا، فلو قلت: إني لم أسمع صوت صنج قط، ولا صوت بربط قط، ولا شيئًا قط أحسن من صوته»^(٣). وقال العجلي: «ولم يكن في الصحابة أحد أحسن صوتًا منه»^(٤).

- قال سلمة بن عاصم: «كان عاصم بن أبي النجود ذا أدب، ونسك، وفصاحة، وصوت حسن»^(٥).

- يقول الأعمش: «كان يحيى بن وثاب من أحسن الناس قراءة، ربما اشتهدت أن أقبل رأسه من حسن قراءته، وكان إذا قرأ، لا تسمع في المسجد حركة، كأن ليس في المسجد أحد»^(٦).

- وعن أبي عبد الرحمن الجبلي: «أن عقبة كان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن. فقال له عمر: اعرض علي. فقرأ، فبكى عمر»^(٧).

- وعن أنس: «قدمنا البصرة مع أبي موسى، فقام من الليل يتهجّد، فلما أصبح، قيل له: أصلح الله الأمير! لو رأيت إلى نسوتك وقرابتك وهم يستمعون لقراءتك! فقال: لو علمت، لزينت كتاب الله بصوتي، ولحبرته تحبيرًا»^(٨).

(١) سير أعلام النبلاء: (٢/٣٨٢).

(٢) السابق: (٢/٣٩٢).

(٣) فضائل القرآن: (١/١٦٣).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٢/٣٨٣).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٥/٢٥٩).

(٦) السابق: (٤/٣٨١).

(٧) سير أعلام النبلاء: (٢/٤٦٨).

(٨) سير أعلام النبلاء: (٢/٣٩٢).

- وقال الحافظ عبد الغني المقدسي: «أضافني رجل بأصبهان، فلما تعشينا، كان عنده رجل أكل معنا، فلما قمنا إلى الصلاة لم يصل، فقلت: ما له؟ قالوا: هذا رجل شمسي. فضاقت صدري، وقلت للرجل: ما أضفتني إلا مع كافر! قال: إنه كاتب، ولنا عنده راحة، ثم قمت بالليل أصلي، وذاك يستمع، فلما سمع القرآن تزفر، ثم أسلم بعد أيام، وقال: لما سمعتك تقرأ، وقع الإسلام في قلبي»^(١).

- وعن الأعمش، قال: «كان يحيى بن وثاب من أحسن الناس قراءة، ربما اشتهيت أن أقبل رأسه من حسن قراءته، وكان إذا قرأ، لا تسمع في المسجد حركة، كأن ليس في المسجد أحد»^(٢).

وكانوا يعتنون بتعلم القرآن وتعليمه:

- فعن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(٣).
 - وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقرأ علي» قال: قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل قال: «إني أشتهي أن أسمع من غيري» قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال لي: «كف - أو أمسك -» فرأيت عينيه تذرفان»^(٤).

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [البينة: ١] قال: وسماني؟ قال: «نعم» فبكي»^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء: (٢١/٤٥٣-٤٥٤).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٤/٣٨١).

(٣) البخاري: (٥٠٢٧).

(٤) السابق: (٥٠٥٥).

(٥) السابق: (٣٨٠٩).

- وعن عبادة بن الصامت، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قدم عليه مهاجر دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن»^(١).

- وكانوا يجلسون لتعليم الناس القرآن، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «بعثني الأشعري إلى عمر، فقال لي: كيف تركت الأشعري؟ قلت: تركته يعلم الناس القرآن. فقال: أما إنه كيس! ولا تسمعها إياه»^(٢).

- وعن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا»^(٣).

- وقال إسحاق بن إبراهيم: «سمعت الكسائي يقرأ القرآن على الناس مرتين»^(٤).

- وقال محمد بن كعب القرظي: «جمع القرآن في زمان النبي ﷺ خمسة من الأنصار: معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وأبو أيوب وأبو الدرداء، فلما كان زمن عمر بن الخطاب كتب إليه يزيد بن أبي سفيان: إن أهل الشام قد كثروا وربلوا وملثوا المدائن، واحتاجوا إلى من يعلمهم القرآن ويفقههم، فأعني يا أمير المؤمنين برجال يعلمونهم، فدعا عمر أولئك الخمسة فقال لهم: إن إخوانكم من أهل الشام قد استعانوني بمن يعلمهم القرآن ويفقههم في الدين، فأعينوني رحمكم الله بثلاثة منكم، إن أجبتهم فاستهموا، وإن انتدب ثلاثة منكم فليخرجوا، فقالوا: ما كنا لتساهم، هذا شيخ كبير لأبي أيوب وأما هذا فسقيم لأبي بن كعب فخرج معاذ وعبادة وأبو الدرداء، فقال عمر: ابدؤوا بحمص فإنكم

(١) فضائل القرآن: (١/٢٠٦).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٢/٣٩٠).

(٣) البخاري: (٥٠٢٧).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٩/١٣٢).

ستجدون الناس على وجوه مختلفة، منهم من يلقن فإذا رأيتم ذلك فوجهوا إليه طائفة من الناس فإذا رضيتم منهم فليقم بها واحد وليخرج واحد إلى دمشق والآخر إلى فلسطين. وقدموا حمص فكانوا بها حتى إذا رضوا من الناس أقام بها عبادة وخرج أبو الدرداء إلى دمشق ومعاذ إلى فلسطين، وأما معاذ فمات عام طاعون عمواس، وأما عبادة فصار بعد إلى فلسطين فمات بها، وأما أبو الدرداء فلم يزل بدمشق حتى مات»^(١).

وكانوا يبذلون الغالي والنفيس في تعلم القرآن:

- قال أبو الدرداء: «لو أعيتني آية من كتاب الله ﷻ، فلم أجد أحدا يفتحها علي إلا رجلا بيرك الغماد لرحلت إليه»^(٢).

- وجاء عن الإمام، القدوة، المقرئ، الفقيه، شيخ القراء، الأسدي، الكاهلي مولاهم، الكوفي، أحد الأئمة الأعلام. يحيى بن وثاب: «حيث دخل هو وأبوه الكوفة، فطلب من أبيه البقاء بها ليتعلم كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ بملازمة حلق أهل العلم فيها ؛ فقال يحيى: يا أبت، إني آثرت العلم على المال. فأذن له في المقام، فأقبل على القرآن، وتلا على أصحاب علي، وابن مسعود، حتى صار أقرأ أهل زمانه»^(٣).

- وقال أبو بكر شعبة بن عياش الأسدي: «اختلفت إلى عاصم نحو من ثلاث سنين، في الحر والشتاء والمطر، حتى ربما استحييت من أهل مسجد بني كاهل»^(٤).

- وعن خلف، قال: «كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يتلو، وينقظون على قراءته مصاحفهم»^(٥).

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: (٣٥٦/٢).

(٢) فضائل القرآن: (١٠١/١).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٣٧٩-٣٨٠/٤).

(٤) السابق: (٥٠٢/٨).

(٥) السابق: (١٣٢/٩).

- وجاء عن الإمام الكبير، شيخ الإسلام، عمران بن ملحان التميمي، البصري .
من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبي ﷺ،
أخذ القرآن، وتلقاه عن أبي موسى الأشعري، ثم عرضه على ابن عباس رضي الله عنهما، وهو
أسن من ابن عباس^(١).

وكانوا يعتنون بتعليم القرآن ويحثون عليه :

- قال عبد الله بن عمرو بن العاص : «عليكم بالقرآن فتعلموه، وعلموه أبناءكم،
فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظا لمن عقل»^(٢).

- وكان أبو العالية يقول لطلابه : «تعلموا القرآن فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه
وإياكم وهذه الأهواء؛ فإنها توقع بينكم العداوة والبغضاء وعليكم بالأمر الأول
الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا»^(٣).

وكانوا ينصحون طلبته، ويشنون على المجتهدين منهم، ويصبرون على تعليمهم :

- قال مالك بن دينار : «يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن
ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض»^(٤).

- وعن أبي حمزة، قال : قلت لابن عباس : إني سريع القراءة، وإني أقرأ القرآن
في ثلاث فقال : «لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما
تقول»^(٥).

- وعن أبي الزاهرية، أن رجلا أتى أبا الدرداء بابنه، فقال : يا أبا الدرداء إن

(١) السابق : (٤/ ٢٥٣ - ٢٥٤).

(٢) فضائل القرآن : (١/ ٥٢).

(٣) حلية الأولياء : (٢/ ٢١٨).

(٤) السابق : (٢/ ٣٥٨).

(٥) فضائل القرآن : (١/ ١٥٧).

ابني هذا قد جمع القرآن. فقال: «اللهم اغفر، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع»^(١).

- وقال عبيد المکتب: قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة؛ قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ فقال: «الذي قرأ البقرة». ثم قرأ ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكِنٍّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]^(٢).

- وقال علقمة: كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، وكان ابن مسعود يرسل إلي، فأقرأ عليه، فإذا فرغت من قراءتي، قال: زدنا -فذاك أبي وأمي- فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن حسن الصوت زينة القرآن)^(٣).
- وعن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود، أنه كان يقرأ القرآن، فيمر بالآية، فيقول للرجل: «خذها، فوالله لهي خير مما على الأرض من شيء»^(٤).

- وقال يحيى بن آدم: قال لي أبو بكر: «تعلمت من عاصم القرآن، كما يتعلم الصبي من المعلم، فلقي مني شدة، فما أحسن غير قراءته، وهذا الذي أحدثك به من القراءات إنما تعلمته من عاصم تعلماً»^(٥).

- وقال يحيى بن سليمان الجعفي: حدثنا يحيى بن المبارك قال: «كنا نقرأ على حمزة بن حبيب الزيات ونحن شباب، فإذا جاء سليم بن عيسى الحنفي. قال لنا حمزة: تحفظوا وثبتوا قد جاءكم سليم»^(٦).

(١) السابق: (١/١٣٢).

(٢) السابق: (١/١٥٨).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٤/٥٨).

(٤) فضائل القرآن: (١/٥٢).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٨/٥٠٢).

(٦) معرفة القراء الكبار: (١/٨٤).

- وكان عمرو بن قيس الملائي يقرئ الناس القرآن، فكان يجلس بين يدي رجل رجل حتى يفرغ منهم، وكان إذا مشى لا يمشي أمامهم فيقول: «تعالوا نمشي جميعًا»^(١).

- وقال عيسى بن مينا قالون: «كان نافع من أطهر الناس خلقًا ومن أحسن الناس قراءة، وكان زاهدا جوادا صلى في مسجد النبي ﷺ ستين سنة»^(٢).

- وقال مسلم بن مشكم: «قال لي أبو الدرداء: اعدد من في مجلسنا. قال: فجاؤوا ألفا وست مائة ونيفا، فكانوا يقرؤون، ويتسابقون عشرة عشرة، فإذا صلى الصبح انفتل، وقرأ جزءا، فيحدقون به، يسمعون ألفاظه، وكان ابن عامر مقدما فيهم»^(٣).

- وقال الأخفش: «مر الحسن بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال: من هذا؟ فقالوا أبو عمرو فقال لا إله إلا الله كادت العلماء أن تكون أربابًا كل عز لم يؤكد بعلم فالى ذل يتول»^(٤).

- وجاء في ترجمة مقرئ دمشق، العلامة، أبو الحسن محمد بن النضر بن مر بن الحر الربيعي، الدمشقي، ابن الأخرم، تلميذ هارون الأخفش الدمشقي. كانت له حلقة عظيمة بجامع دمشق يقرؤون عليه من بعد الفجر إلى الظهر^(٥).

- وروي عن حفص بن سليمان قال: قال لي عاصم: «ما كان من القراءة التي أقرأتك بها، فهي القراءة التي قرأت بها علي أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي ﷺ. وما كان من القراءة التي أقرأت بها أبا بكر بن عياش، فهي القراءة التي

(١) حلية الأولياء: (١٠٢/٥).

(٢) غاية النهاية: (٣٣٣/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٣٤٦/٢).

(٤) غاية النهاية: (٢٩١/١).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٥٦٥ / ١٥).

كنت أعرضها على زر بن حبيش، عن ابن مسعود رضي الله عنه (١).

وكانوا رحمهم الله يرشدون طلابهم إلى الطريقة المثلى لحفظ القرآن الكريم ومراجعته ومعاهده، وهذا من نتائج تجاربهم وثمار تحصيلهم واجتهادهم:

- ومن ذلك قول أبي العالية رفيع بن مهران الرياحي: «تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات؛ فإنه أحفظ لكم» (٢).

- وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن: كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا» (٣).

- وعن ابن مسعود، قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» (٤).

- قال محمد بن علي السلمي: «قمت ليلة سحرا لآخذ النوبة على ابن الأخرم، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً، وقال: لم تدركني النوبة إلى العصر» (٥).

- وقال الأعمش: «ما رأيت مثل طلحة، إن كنت قائماً فقعدت قطع القراءة، وإن كنت محتبياً فحللت حبوتي قطع القراءة كراهية أن يكون قد أمني» (٦). وقال: «كان طلحة بن مصرف يجيئني فأقربه فلا يطلبني حتى أخرج، فإن تنحنحت أو سعلت قام» (٧).

(١) معرفة القراء الكبار: (٥٣/١).

(٢) حلية الأولياء: (٢١٩/٢).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (٣٣١/١٣).

(٤) تفسير الطبري: (٧٤/١). تفسير ابن كثير: (٨/١).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٥٦٥/١٥).

(٦) حلية الأولياء: (١٨/٥).

(٧) السابق.

- وقال سفيان بن سعيد الثوري: «عمرو بن قيس هو الذي أدبني وعلمني قراءة القرآن، وعلمني الفرائض، فكنت أطلبه في سوقه، فإن لم أجده في سوقه وجدته في بيته، إما أن يصلي، وإما يقرأ في المصحف، كأنه يبادر أموراً تفوته، فإن لم أجده في بيته وجدته في بعض مساجد الكوفة، في زاوية من بعض زوايا المسجد، كأنه سارق قاعدا يبيكي، فإن لم أجده وجدته في المقبرة قاعدا ينوح على نفسه»^(١).

ومن صور اعتنائهم بالقرآن، إكرام حملته، وتوقيرهم، والقيام بحقهم:

- قال الحسن بن فهم: «ما رأيت أنبل من خلف بن هشام، كان يبدأ بأهل القرآن، ثم يأذن لأصحاب الحديث»^(٢).

- وقال مجاهد: «كان لعبد الرحمن بن أبي ليلى بيت يجتمع فيه القراء فيه مصاحف، فقلما تفرقوا إلا عن طعام»^(٣).

- وكان لعون بن عبدالله جارية يقال لها: بشرة، تقرأ بالحنان، فقال لها يوماً: اقري علي إخواني. فكانت تقرأ بصوت وجيع حزين، فرأيتهم يلقون العمائم، ويبكون. فقال لها يوماً: يا بشرة، قد أعطيت بك ألف دينار لحسن صوتك، اذهبي، فأنت حرة لوجه الله^(٤).

وكانوا يعتنون بفهم القرآن، وتعلمه، ويحثون عليه، ويجدون في ذلك:

- وقد قال ابن عباس، في قوله: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] «يعني المعرفة بالقرآن، ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله»^(٥).

(١) حلية الأولياء: (١٠٠/٥). سير أعلام النبلاء: (٢٥٠/٦).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٥٧٩/١٠).

(٣) حلية الأولياء: (٣٥١/٤).

(٤) سير أعلام النبلاء: (١٠٥/٥). حلية الأولياء: (٢٦٤/٤).

(٥) تفسير الطبري: (٨/٥).

- وعن إبراهيم التيمي، قال: خلا عمر ذات يوم فجعل يحدث نفسه كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس فقال: «كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؛ وقبلتها واحدة؟» فقال ابن عباس: «يا أمير المؤمنين، إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيم نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيم نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإذا كان لهم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا». قال: فزبره عمر وانتهره، فانصرف ابن عباس. ونظر عمر فيما قال، فعرفه، فأرسل إليه، فقال: «أعد علي ما قلت». فأعاده عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه^(١).

- وقال قتادة: «ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً»^(٢).

- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لقد عشنا دهرًا طويلاً وأحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما أمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل»^(٣).

- وكان ابن عمر يقول: «كان الفضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرءون القرآن منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به»^(٤).

- وقال أبو عبد الرحمن السلمي: «كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها»^(٥).

(١) فضائل القرآن: (١/١٠٢).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٥/٢٧١).

(٣) إحياء علوم الدين: (١/٢٧٥).

(٤) تفسير القرطبي: (١/٤٠).

(٥) السابق: (١/٣٩).

- وروي عن خلف بن هشام البزار، قال: «ما أظن القرآن إلا عارية في أيدينا، وذلك إنا روينا أن عمر بن الخطاب حفظ البقرة في بضع عشرة سنة، فلما حفظها نحر جزورا شكرا لله، وإن الغلام في دهرنا هذا يجلس بين يدي فيقرأ ثلث القرآن لا يسقط منه حرفا، فما أحسب القرآن إلا عارية في أيدينا»^(١).

ومن ثناء الناس على علماء التفسير من الصحابة، وتقديرهم لعلمهم:

- يقول طلحة بن عبيد الله: «لقد أعطي ابن عباس فهما ولقنا وعلمنا، ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم عليه أحدا»^(٢). وقال عبد الله بن مسعود: «نعم ترجمان القرآن ابن عباس»^(٣). وعن مجاهد، قال: «كان ابن عباس رضي الله تعالى عنه يسمى البحر من كثرة علمه»^(٤). وعن طاووس، قال: «ما رأيت أروع من ابن عمر، ولا أعلم من ابن عباس»^(٥). وعنه أيضًا، قال: «أدركت نحوًا من خمس مائة من الصحابة، إذا ذكروا ابن عباس، فخالقوه، فلم يزل يقرهم حتى ينتهوا إلى قوله»^(٦).

- وقال عطاء بن أبي رباح: «ما رأيت مجلسًا أكرم من مجلس ابن عباس، أصحاب الفقه عنده، وأصحاب القرآن عنده، وأصحاب الشعر عنده يصدرهم كلهم من واد واسع»^(٧).

- وعن أبي صالح باذام مولى أم هانئ، قال: «لقد رأيت من ابن عباس مجلسًا لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها فخرا، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق

(١) السابق: (٤٠/١).

(٢) الطبقات الكبرى: (٣٧٠/٢). سير أعلام النبلاء: (٣٤٧/٣).

(٣) الطبقات الكبرى: (٣٦٦/٢). تفسير الطبري: (١٨٤/١).

(٤) حلية الأولياء: (٣١٦/١). الطبقات الكبرى: (٣٦٦/٢).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٣٥٠/٣).

(٦) السابق: (٣٥١/٣).

(٧) الإصابة في تمييز الصحابة: (٥٦/١).

بهم الطريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على باب، فقال: لي: ضع لي وضوءاً، قال: فتوضأ وجلس وقال: اخرج وقل لهم: «من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل» قال: فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سأله عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سأله عنه أو أكثر، ثم قال: «إخوانكم» فخرجوا، ثم قال: «اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل» قال: فخرجت فأذنتهم، فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سأله عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثل ما سأله عنه أو أكثر، ثم قال: «إخوانكم» فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقهاء فليدخل، فخرجت فقلت لهم، قال: فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة، فما سأله عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله، ثم قال: إخوانكم «فخرجوا . . .»^(١) إلخ».

وكانوا لا يتركون ورد القرآن، ويقدمونه على غيره:

- يقول عبد الرحمن بن عبد القاري: استأذنت على عمر بالهاجرة، فحبسني طويلاً، ثم أذن لي، وقال: «إني كنت في قضاء وردي»^(٢).

- وقال عقبة بن عامر: «ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها منذ قرأت القرآن»^(٣).

- وقال بكار بن محمد السيريني: «وكان لعبد الله بن عون سبع يقرؤه كل ليلة، فإذا لم يقرأه أتمه بالنهار»^(٤).

(١) حلية الأولياء: (١/٣٢٠).

(٢) فضائل القرآن: (١/١٨٥).

(٣) فضائل القرآن: (١/١٨٦).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٦/٣٧٠).

- وعن إبراهيم النخعي، قال: «كان أحدهم إذا بقي عليه من جزئه شيء، فنشط، قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى». قال: «وربما زاد أحدهم»^(١).

وكانوا يعملون بالقرآن:

- كان ابن عمر يقول: «كنا صدر هذه الأمة وكان الرجل من خيار أصحاب رسول الله ﷺ ما معه إلا السورة من القرآن أو شبه ذلك، وكان القرآن ثقيلا عليهم ورزقوا العمل به، وإن آخر هذه الأمة يخفف عليهم القرآن حتى يقرأه الصبي والأعجمي فلا يعملون به»^(٢).

- وجاء رجل لأبي بن كعب، فقال أوصني، قال: «اتخذ كتاب الله إمامًا، وارض به قاضيا وحكما، فإنه الذي استخلف فيكم رسولكم، شفيح مطاع، وشاهد لا يتهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم»^(٣).

- وقد كان أبو بكر الصديق ﷺ ينفق على مسطح بن أثاثة ﷺ، فلما خاض في حادثة الإفك وبرأ الله ابنته أم المؤمنين عائشة ﷺ أوقف النفقة عليه ومنعه منها، فلما نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، أعاد النفقة عليه وقال: «لا جرم والله لا أمنعه معروفًا كنت أوليه قبل اليوم»، وفي رواية: «أن أبا بكر كان يضعف له بعد ذلك بعدما نزلت هذه الآية ضعفي ما كان يعطيه»^(٤).

- وعن الزهري، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن

(١) فضائل القرآن: (١/١٨٧).

(٢) الأجرى، أخلاق أهل القرآن: (١/٩٨).

(٣) حلية الأولياء: (١/٢٥٣).

(٤) الدر المنثور: (٦/١٦٣).

ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من نفر الذين يدينهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته، كهولا كانوا أو شبانا»، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: «فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر»، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، «والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله»^(١).

وكانت لهم أحوال ومواجيد عند قراءة القرآن، والاستماع إليه:

- فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ علي» قال: قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل قال: «إني أشتهي أن أسمع من غيري» قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال لي: «كف - أو أمسك -» فرأيت عينيه تذرفان»^(٢).

- وعن أبي صالح، قال: لما قدم أهل اليمن في زمن أبي بكر رحمة الله عليه فسمعوا القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر الصديق: «هكذا كنا ثم قست القلوب»^(٣).

- وقال عروة بن الزبير: دخلت على أسماء وهي تصلي فسمعتها وهي، «تقرأ هذه الآية ﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْهِمْ وَعَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ [الطور: ٢٧] فاستعادت فقمت وهي تستعيز فلما طال علي أتيت السوق ثم رجعت وهي في بكائها تستعيز»^(٤).

(١) البخاري: (٤٦٤٢).

(٢) السابق: (٥٠٥٥).

(٣) فضائل القرآن: (١/١٣٥).

(٤) السابق: (٥٥/٢).

- وقال عبد الرحمن بن عجلان: بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة «فقام يصلي فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١] الآية فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد^(١). وعن عبد الله بن رباح، قال: «كان صفوان بن محرز المازني إذا قرأ هذه الآية: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] بكى حتى أقول: اندق قصيص زوره»^(٢).

- وقام الحسن البصري ذات ليلة يصلي، فلم يزل يردد هذه الآية حتى السحر ﴿وَإِنْ نَعَدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فلما قيل له في ذلك، قال: «أرى فيها معتبرا، ما أرفع طرفاً ولا أردّه إلا وقع على نعمة، وما لا يعلم من نعم الله أكثر»^(٣).

- وجاء في سيرة محمد بن المنكدر: أنه بينما هو ذات ليلة قائم يصلي إذا استبكى وكثر بكاؤه حتى فرغ أهله، وسألوه ما الذي أبكاه فاستعجم عليهم، وتمادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حازم فأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكي، قال: يا أخي، ما الذي أبكاك؟ قد رعت أهلك، أفمن علة؟ أم ما بك؟ قال: فقال: إنه مرت بي آية في كتاب الله ﷻ، قال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى: ﴿وَبَدَأْ لَهُمْ مِنَّ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] قال: فبكى أبو حازم أيضا معه واشتد بكاؤهما، قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه فزده، قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما^(٤). ولذلك قال عنه مالك بن أنس: «كان محمد بن المنكدر سيد القراء، ولا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا كان يبكي»^(٥).

(١) السابق: (١١٢/٢).

(٢) السابق: (٢١٤/٢).

(٣) التذكار: (ص ٢٠١).

(٤) حلية الأولياء: (١٤٦/٣).

(٥) السابق: (١٤٧/٣)، قال الغزالي: «ووجه إحضار الحزن أن يتأمل ما فيه من التهديد =

- وعن ابن عيينة، قال: «كان عمر بن ذر إذا قرأ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال: يا لك من يوم! ما أملأ ذكرك لقلوب الصادقين!»^(١).

- وقال نعيم بن حماد: «قال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة القرآن في ركعة. فقال: لكنني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرر: ﴿الْهَنَكُمُ الثَّكَائِرُ﴾ إلى الصبح، ما قدر أن يتجاوزها - يعني نفسه-»^(٢).

- وقال أبو سليمان الداراني: «كان علي بن الفضيل لا يستطيع أن يقرأ: ﴿الْقَارِعَةُ﴾، ولا تقرأ عليه»^(٣).

- وقال إبراهيم بن بشار: «الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيِّنَا نُرْدُ﴾ [الأنعام: ٢٧]، مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه - ﷺ»^(٤).

- وعن مسروق، قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، صلى ليلة حتى أصبح، أو كاد، يقرأ آية يرددها، ويكي: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الجاثية: ٢٠]»^(٥).

- وقال القاسم بن أبي أيوب: «سمعت سعيداً يردد هذه الآية في الصلاة بضعا وعشرين مرة: ﴿وَأَنْقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]»^(٦).

= والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجه فيحزن لا محالة ويكي فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليكن على فقد الحزن والبكاء فإن ذلك أعظم المصائب»، إحياء علوم الدين: (١/٢٧٧).

(١) سير أعلام النبلاء: (٦/٣٨٨).

(٢) سير أعلام النبلاء: (٨/٣٩٧).

(٣) سير أعلام النبلاء: (٨/٤٤٥).

(٤) سير أعلام النبلاء: (٨/٤٤٦).

(٥) سير أعلام النبلاء: (٢/٤٤٥).

(٦) سير أعلام النبلاء: (٤/٣٢٤).

- وقال أبو بكر ابن عياش: «دخلت على عاصم، فأغمي عليه، ثم أفاق، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ ... الآية، فهمز، فعلمت أن القراءة منه سجية»^(١).

- وقال محمد بن عوف الحمصي: «رأيت أحمد بن أبي الحواري عندنا بأنطرسوس، فلما صلى العتمة، قام يصلي، فاستفتح بـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فطفت الحائط كله، ثم رجعت، فإذا هو لا يجاوزها، ثم نمت، ومررت في السحر وهو يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾. فلم يزل يردها إلى الصبح»^(٢).

- وعن أحمد بن سهل الهروي، قال: «كنت ساكنا في جوار بكار بن قتيبة، فانصرفت بعد العشاء، فإذا هو يقرأ: ﴿بِنَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة ص: ٢٦]. قال: ثم نزلت في السحر، فإذا هو يقرؤها، ويبكي، فعلمت أنه كان يتلوها من أول الليل»^(٣).

- وقال أبو عثمان المغربي: «ليكن تدبرك في الخلق تدبر عبدة، وتدبرك في نفسك تدبر موعظة، وتدبرك في القرآن تدبر حقيقة. قال الله -تعالى-: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢] جراك به على تلاوته، ولولا ذلك لكنت الألسن عن تلاوته»^(٤).

وكانوا يحذرون أهل القرآن من الانشغال عنه:

- فقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضع لكم الطريق فاستبقوا الخيرات لا تكونوا عيالا على الناس»^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء: (٥/٢٦٠).

(٢) سير أعلام النبلاء: (١٢/٨٨).

(٣) سير أعلام النبلاء: (١٢/٦٠٠).

(٤) سير أعلام النبلاء: (١٦/٣٢١).

(٥) النووي، التبيان في آداب حملة القرآن: (١/٥٤).

- وعن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه، قال: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبعا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا، لقد ضللتكم ضلالا بعيدا»^(١).

- وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «لو أن حملة القرآن أخذوه وما ينبغي له لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس»^(٢).

- وقال شميظ بن عجلان: «يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم، حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمها إلى صدره، وحملها على رأسه، فنظر إليه ثلاثة ضعفاء: امرأة ضعيفة، وأعرابي جاهل، وأعجمي، فقالوا: هذا أعلم بالله منا، لو لم ير في الدنيا ذخيرة ما فعل هذا، فرغبوا في الدنيا وجمعوها. وكان أبي يقول: فمثله كمثل الذي قال الله ﷻ: ﴿وَمِنَ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]»^(٣).

- وقال أبو عبيد: وحكي لي عن سفيان بن عيينة أنه قال: من أعطي القرآن فمد عينيه إلى شيء مما صغر القرآن فقد خالف القرآن، ألم تسمع قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨] وقوله أيضا: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]. قال: يعني القرآن، وقوله أيضا: ﴿وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢]»^(٤).

- وقال سفيان الثوري: «يا معشر القراء ارفعوا رءوسكم لا تزيدوا التخشع على ما في القلب فقد وضح الطريق فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا تكونوا عيالا على المسلمين»^(٥).

(١) البخاري: (٧٢٨٢).

(٢) تفسير القرطبي: (٢٠٠/١).

(٣) حلية الأولياء: (١٣٠/٣).

(٤) فضائل القرآن: (١١٤/١).

(٥) حلية الأولياء: (٣٨٢/٦).

- وقال الشعبي: «ما رأيت قوما قط أكثر علما، ولا أعظم حلما، ولا أكف عن الدنيا من أصحاب عبد الله، ولولا ما سبقهم به الصحابة، ما قدمنا عليهم أحدا»^(١).

- وقال عاصم: قال لي أبو وائل: «أتدري ما أشبه قراء أهل زماننا؟ قلت: ومن يشبههم؟ قال: أشبههم برجل أسمن غنما، فلما أراد ذبحها وجدها غنثا لا تنقى، أو رجل عمد إلى دراهم فلوس فألقاها في زئبق ثم أخرجها فكسرها، فإذا هي نحاس». وقال أيضا: «مثل قراء أهل هذا الزمان كمثل غنم ضوائن ذات صوف، فغبط شاة منها فإذا هي لا تنقى، ثم غبط أخرى فإذا هي كذلك، فقال: أف لك سائر اليوم». وكان يقول: «إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق»^(٢).

- وعن إياس بن عامر أن علي بن أبي طالب قال له: إنك إن بقيت فسيقرأ القرآن على ثلاثة أصناف: «صنف لله، وصنف للدنيا، وصنف للجدل، فمن طلب به أدرك»^(٣).

وهذه متفرقات من أحوالهم، وكلامهم عن القرآن العظيم^(٤):

- قال أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري: «إن لله ﷻ لصفوة من خلقه، وإن لله ﷻ لخيرة، فقليل له: يا أبا الفيض فما علامتهم؟ قال: «إذا خلع العبد الراحة، وأعطى المجهود في الطاعة، وأحب سقوط المنزلة. ثم قال:

منع القران بوعدده ووعيده مقل العيون بليلها أن تهجعا

فهموا عن الملك الكريم كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضعا

وقال له بعض من كان في المجلس حاضرا: يا أبا الفيض من هؤلاء القوم

(١) سير أعلام النبلاء: (٤/٢٦٢).

(٢) حلية الأولياء: (٤/١٠٤ - ١٠٥).

(٣) أخلاق أهل القرآن: (١/٨٥).

(٤) جمعت من حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، جمعها الأخ الكريم: محمود ماهر.

يرحمك الله؟ فقال: «ويحك هؤلاء قوم جعلوا الركب لجباههم وسادا، والتراب لجنوبهم مهادا، هؤلاء قوم خالط القرآن لحومهم ودماءهم فعزلهم عن الأزواج، وحركهم بالإدلاج فوضعوه على أفئدتهم فانفجرت، وضموه إلى صدورهم فانشرحت، وتصدعت هممهم به فكذحت، فجعلوه لظلمتهم سراجا، ولنومهم مهادا، ولسيلهم منهاجا، ولحجتهم إفلاجا، يفرح الناس ويحزنون، وينام الناس ويسهرون، ويفطر الناس ويصومون، ويأمن الناس ويخافون، فهم خائفون، حذرون، وجلون، مشفقون، مشمرون، يبادرون من الفوت، ويستعدون للموت، لم يتصغر جسيم ذلك عندهم لعظم ما يخافون من العذاب، وخطر ما يوعدون من الثواب، درجوا على شرائع القرآن، وتخلصوا بخالص القربان، واستناروا بنور الرحمن، فما لبثوا أن أنجز لهم القرآن موعوده، وأوفى لهم عهودهم، وأحلهم سعوده، وأجارهم وعيده، فنالوا به الرغائب، وعانقوا به الكواعب، وأمنوا به العواطب، وحذروا به العواقب، لأنهم فارقوا بهجة الدنيا بعين قالية، ونظروا إلى ثواب الآخرة بعين راضية، واشتروا الباقية بالفانية، فنعم ما اتجروا ربحوا الدارين، وجمعوا الخيرين، واستكملوا الفضلين...»^(١).

- وعن ثابت البناني، قال: «ذكر أنس بن مالك سبعين رجلا من الأنصار، كانوا إذا جنهم الليل آووا إلى معلم لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن، فإذا أصبحوا فمن كانت عنده قوة أصاب من الحطب واستعذب من الماء، ومن كانت عنده سعة أصابوا الشاة فأصلحوها، فكانت تصبح معلقة بحجر رسول الله ﷺ»^(٢).

- وعن أبي البختري، قال: «قالوا لعلي: حدثنا عن أصحاب محمد رسول الله ﷺ، قال: عن أيهم؟ قالوا: أخبرنا عن عبد الله بن مسعود، قال: «علم القرآن

(١) حلية الأولياء: (١/١٣).

(٢) حلية الأولياء: (١/١٢٣).

والسنة ثم انتهى، وكفى بذلك علمًا^(١). وسئل علي بن أبي طالب عن ابن مسعود، فقال: «قرأ القرآن ثم وقف عنده، وكفى به»^(٢).

- وقال ابن مسعود: «إن هذا القرآن مآدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئًا فليفعل، فإن أصفر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء كخراب البيت الذي لا عامر له، وإن الشيطان يخرج من البيت الذي تسمع فيه سورة البقرة»^(٣).

- وكان أبو الدرداء يقول: «إن مما أخشى عليكم زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن، والقرآن حق، وعلى القرآن منار كمنار الطريق، ومن لم يكن غنيا من الدنيا فلا دنيا له»^(٤).

- وعن عبد الله بن عبيدة، أن نفرا اجتمعوا في حجرة صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ فذكروا الله وتلوا القرآن وسجدوا فنادتهم صفية: «هذا السجود وتلاوة القرآن فأين البكاء؟»^(٥).

- وقال مرة الطيب: «كان علقمة من الديانين الذين يقرءون القرآن»^(٦).

- وعن إبراهيم: أن علقمة، «قرأ على عبد الله - ابن مسعود - وكان حسن الصوت فقال له رجل: رتل فذاك أبي وأمي فإنه زين القرآن»^(٧). وعنه أيضًا: «كان علقمة يختم القرآن كل خميس»^(٨).

(١) حلية الأولياء: (١/١٢٩).

(٢) حلية الأولياء: (١/١٢٩).

(٣) حلية الأولياء: (١/١٣٠).

(٤) حلية الأولياء: (١/٢١٩).

(٥) حلية الأولياء: (٢/٥٥).

(٦) حلية الأولياء: (٢/٩٨).

(٧) حلية الأولياء: (٢/٩٩).

(٨) حلية الأولياء: (٢/٩٩).

- وعن إبراهيم، قال: «كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين وكان ينام بين المغرب والعشاء وكان يختم القرآن في غير رمضان في كل ست ليال»^(١).

- وقال مطرف: «إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن وأعرض عملي على عمل أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، ﴿يَسْئَلُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤]، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ﴾ [الزمر: ٩] آتاء الليل ساجدا وقائما، فلا أراني فيهم فأعرض نفسي على هذه الآية: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ [المدثر: ٤٢] فأرى القوم مكذابين وأمر بهذه الآية: ﴿وَأَخْرَجُوا عَرِفُوا يُذْنِبِهِمْ حَطَّوْا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: ١٠٢] فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخواناه منهم»^(٢).

- وقال أبو عمران: «والله لقد صرف إلينا ربنا ﷻ في هذا القرآن ما لو صرفه إلى الجبال لحتها وحنأها»^(٣).

- وقال محمد بن واسع: «القرآن بستان العارفين فأينما حلوا منه حلوا في نزهة»^(٤).
- وعن مالك بن دينار، أنه قرأ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] ثم قال: «أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه»^(٥).

- وقال ابن عون: «أحب لكم يا معشر إخواني ثلاثا: هذا القرآن تتلونه آتاء الليل والنهار، ولزوم الجماعة، والكف عن أعراض المسلمين»^(٦).

(١) حلية الأولياء: (١٠٢/٢).

(٢) حلية الأولياء: (١٩٨/٢).

(٣) حلية الأولياء: (٣١١/٢).

(٤) حلية الأولياء: (٣٤٦/٢).

(٥) حلية الأولياء: (٣٧٨/٢).

(٦) حلية الأولياء: (٤١/٣).

- وقال يحيى بن أبي كثير: «تعلم الفقه صلاة، ودراسة القرآن صلاة»^(١).
- وقال أبو الجوزاء: «نقل الحجارة أهون عند المنافق من قراءة القرآن»^(٢).
- وقال محمد بن كعب القرظي: «لأن أقرأ في ليلة حتى أصبح إذا زلزلت الأرض زلزالها والقارعة لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما، وأتفكر أحب إلي من أن أهدر القرآن هدرا، أو قال: أنثره نثرا»^(٣).
- وعن منصور القرظي، قال: سمعت أبا حازم يقول: «كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلا، فتعرفه قد مصعه القرآن، وأدركت القراء الذين هم القراء، فأما اليوم فليسوا بقراء ولكنهم خراء»^(٤).
- وعن عكرمة، قال: «كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل، ويعلمني القرآن والسنن»^(٥).
- وقال ميمون بن مهران: «لو أن أهل القرآن أصلحوا لصلح الناس»^(٦).
- وعن عبد الرحمن بن حميد، قال: سمعت أبا إسحاق السبيعي، يقول: «أقرأ أبو عبد الرحمن السلمي القرآن في المسجد أربعين سنة»^(٧).
- وقال أبو إدريس الخولاني: «إنما القرآن آية مبشرة وآية منذرة، وآية فريضة، أو قصص، أو أخبار، وآية تأمرك، وآية تنهاك»^(٨).

(١) حلية الأولياء: (٦٧/٣).

(٢) حلية الأولياء: (٨٠/٣).

(٣) حلية الأولياء: (٢١٤/٣).

(٤) حلية الأولياء: (٢٤٦/٣).

(٥) حلية الأولياء: (٣٢٦/٣).

(٦) حلية الأولياء: (٨٣/٤).

(٧) حلية الأولياء: (١٩٢/٤).

(٨) حلية الأولياء: (١٢٣/٥).

- وقال عمر بن عبد العزيز: «ما حسدت الحجاج عدو الله على شيء حسدي إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي، فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل»^(١).

- وقال إسماعيل بن عبيد: «لما حضرت أبي الوفاة جمع بينه وقال: يا بني عليكم بتقوى الله وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل أحدكم قتيلاً ثم سئل عنه أقر به، والله ما كذبت كذبة منذ قرأت القرآن»^(٢).

- وكان صالح المري إذا قص قال: «هات جونة المسك والترياق المجرب - يعني القرآن - فلا يزال يقرأ ويدعو ويبكي حتى ينصرف»^(٣).

- وعن الحسن، قال: «تفقدوا الحلاوة في ثلاث: في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، فإن لم تجدوها فاعلم أن بابك مغلق»^(٤).

- وقال عفان بن مسلم: «قد رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة ولكن ما رأيت أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله من حماد بن سلمة»^(٥).

- وعن جعفر، قال: «كان مالك بن دينار من أحفظ الناس للقرآن وكان يقرأ علينا كل يوم جزءاً من القرآن حتى ختم فإن أسقط حرفاً قال: بذنب مني وما الله بظلام للعبيد»^(٦).

- وقال سفيان: «وددت أنني حين قرأت القرآن وقفت عنده فلم أتجاوزهُ إلى

(١) حلية الأولياء: (٥/٣٤٥).

(٢) حلية الأولياء: (٦/٨٥).

(٣) حلية الأولياء: (٦/١٦٧).

(٤) حلية الأولياء: (٦/١٧١).

(٥) حلية الأولياء: (٦/٢٥٠).

(٦) حلية الأولياء: (٦/٢٨٨).

غيره»^(١). وقال يوسف بن أسباط: «رأيت سفيان الثوري في المنام فقلت: له أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: القرآن، فقلت: الحديث، فحول وجهه ولوى عنقه»^(٢). وقال سفيان: كان يقال: «يا حملة القرآن لا تتعجلوا منفعة القرآن وإذا مشيتم إلى الطمع فامشوا رويدا»^(٣).

- وعن محمد بن يزيد، وأبو بكر الأسلمي قالا: وقف فضيل على رأس سفيان وحوله جماعة، فقال له: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨] قال: فقال له سفيان: «يا أبا علي، والله لا نفرح أبدا حتى نأخذ دواء القرآن فنضعه على داء القلب»^(٤).

- وقال محمد بن رافع: سمعت أبا قتيبة، يقول: «ربما قال شعبة في الحديث لأصحاب الحديث: اعلموا يا قوم أنكم كلما تقدمتم في الحديث تأخرتم من القرآن، قال: وربما ضرب بيديه رأسه وهو يقول: خاك بسر شعبة يعني التراب على رأس شعبة»^(٥).

- وقال محمد بن مسعر: «كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن، فإذا فرغ من ورده لف رداءه ثم هجع عليه هجعة خفيفة، ثم يثب كالرجل الذي ضل منه شيء فهو يطلبه، وإنما هو السواك، والظهور، ثم يستقبل المحراب، فكذلك إلى الفجر، وكان يجهد على إخفاء ذلك جدا»^(٦).

- وقال سفيان بن عيينة: «لا تبلغوا ذروة هذا الأمر إلا حتى لا يكون شيء أحب

(١) حلية الأولياء: (٦/٣٦٦).

(٢) حلية الأولياء: (٦/٣٦٧).

(٣) حلية الأولياء: (٦/٣٩٢).

(٤) حلية الأولياء: (٧/٧٠).

(٥) حلية الأولياء: (٧/١٤٥).

(٦) حلية الأولياء: (٧/٢١٥).

إليكم من الله، ومن أحب القرآن فقد أحب الله، افقهوا ما يقال لكم»^(١). وقال سفيان: «من قرأ القرآن يسأل عما يسأل عنه الأنبياء ﷺ إلا تبليغ الرسالة»^(٢).

- وعن أم سعيد بن علقمة، وكان سعيد من نساك النخع وكانت أمه طائفة - قالت: كان بيننا وبين داود الطائي، جدار قصير، فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ، قالت: ولربما سمعته في جوف الليل يقول: اللهم همك عطل علي الهموم، وحال بيني وبين السهاد، وشوقي إلى النظر إليك منع مني اللذات والشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب قالت: ولربما ترنم في السحر بشيء من القرآن، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنمة تلك الساعة، قالت: وكان يكون في الدار وحده وكان لا يصبح - تعني: لا يسرح»^(٣).

- وقال أبو يوسف الفولي سمعت إبراهيم بن أدهم، يقول: «لقيت عابدا من العباد قيل إنه لا ينام الليل فقلت له: لم لا تنام فقال لي: منعني عجائب القرآن أن أنام»^(٤). - وقال وهيب بن الورد: «نظرنا في هذا الحديث فلم نجد شيئا أرق لهذه القلوب، ولا أشد استجلابا للحق من قراءة القرآن لمن تدبره»^(٥).

- وقام رجل إلى ابن المبارك فقال: يا أبا عبد الرحمن في أي شيء أجعل فضل يومي، في تعلم القرآن، أو في طلب العلم؟ فقال: «هل تقرأ من القرآن ما تقيم به صلاتك؟ قال: نعم، قال: فاجعله في طلب العلم الذي يعرف به القرآن»^(٦).

- وعن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «هذه القلوب تصدأ كما

(١) حلية الأولياء: (٧/٢٧٧).

(٢) حلية الأولياء: (٧/٢٨١).

(٣) حلية الأولياء: (٧/٣٥٦).

(٤) حلية الأولياء: (٨/٣٠).

(٥) حلية الأولياء: (٨/١٤٢).

(٦) حلية الأولياء: (٨/١٦٥).

يصدأ الحديد» قالوا: يا رسول الله فما جلاؤها قال: «قراءة القرآن»^(١).

- وقال عبدالله العمري: سمعت عبد الرحمن، يقول: «أكثر قراءتك القرآن فإنه يقودك إلى الجنة»^(٢).

- وقال الهيثم بن خارجة: «رأيت أبا بكر بن عياش في النوم قدامه طبق رطب سكر فقلت له: يا أبا بكر ألا تدعوننا إليه وقد كنت شهيا على الطعام، فقال لي: يا هيثم هذا طعام أهل الجنة لا يأكله أهل الدنيا، قال: قلت: وبم نلت؟ قال: تسألني عن هذا وقد مضى علي ست وثمانون سنة أختم في كل ليلة فيها القرآن»^(٣).

- وقال الربيع بن سليمان، قال الشافعي: «يا ربيع، رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه. فإنه لا سبيل إلى رضاهم. واعلم أن من تعلم القرآن جل في عيون الناس، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جل رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يضر نفسه لم ينفعه علمه وملاك ذلك كله التقوى»^(٤).

- وقال الربيع بن سليمان: «كان الشافعي يختم القرآن ستين ختمة»، قلت: في صلاة رمضان؟ قال: «نعم»^(٥).

- وقال أبو سليمان الداراني: «ربما أقمت في الآية الواحدة خمس ليال ولولا أنني بعد أدع الفكر فيها ما جزتها أبدا، وربما جاءت الآية من القرآن تطير العقل فسبحان الذي رده إليهم بعد»^(٦).

(١) حلية الأولياء: (١٩٧/٨).

(٢) حلية الأولياء: (٢٨٣/٨).

(٣) حلية الأولياء: (٣٠٣/٨).

(٤) حلية الأولياء: (١٢٣/٩).

(٥) حلية الأولياء: (١٣٤/٩).

(٦) حلية الأولياء: (٢٦٢/٩).

- وقال أحمد ابن أبي الحواري: «إني لأقرأ القرآن فأنظر في آية آية فيحار عقلي فيها وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسبغهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتكلمون كلام الرحمن، أما لو فهموا ما يتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحا بما رزقوا ووقفوا»^(١).

- وقال يحيى بن معاذ: «واعلموا أن القرآن قد ندبكم إلى وليمة الجنة ودعاكم إليها فأسرع الناس إليها أتركهم لدنياه وأوجدتهم لذة لطعم تلك الوليمة أشدهم تجويعا لنفسه ومخالفة لها»^(٢).

- وقال أبو بكر العطوي: «كنت عند الجنيد حين مات فختم القرآن ثم ابتدأ من البقرة فقرأ سبعين آية ثم مات ﷺ»^(٣).
وختامًا:

- قال سالم الخواص: «كنت أقرأ القرآن ولا أجد له حلاوة فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعته من رسول الله ﷺ، فجاءت حلاوة قليلة فقلت لنفسي: اقرئيه كأنك سمعته من جبريل ﷺ حين يخبر به النبي ﷺ قال: فازدادت الحلاوة ثم قلت لها: اقرئيه كأنك سمعته حين تكلم به. قال: فازدادت الحلاوة كلها»^(٤).

- وعن أبي الحسين محمد بن علي بن حبيش صاحب الجنيد بن محمد: «صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدبا بأدابه وكان له كل يوم ختمة، وفي كل شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث ختمات وبقي في ختمه يستنبط مودع القرآن بضع عشرة سنة يستروح إلى معاني مودعها فمات قبل أن يختمها وسمعته يقول في قوله ﷺ: ﴿إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِيكْتَمُ﴾ [آل عمران: ٩٦]، فقال في البيت

(١) حلية الأولياء: (٢٢/١٠).

(٢) حلية الأولياء: (٦٤/١٠).

(٣) حلية الأولياء: (٢٦٤/١٠).

(٤) حلية الأولياء: (٢٧٩/٨).

مقام إبراهيم وفي القلب آثار رب إبراهيم وللبيت أركان وللقلب أركان فأركان البيت الصم من الصخور وأركان القلب معادن النور»^(١).

- وقال إبراهيم الخواص: «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»^(٢).

- قال أبو سعيد الخزاز: حضرت أبا يعقوب الزيات وقال لمريد: «تحفظ القرآن؟ فقال: لا، فقال: واغوثاه بالله مريد لا يحفظ القرآن كأترجة لا ريح لها فبم يتنغم؟ فبم يترنم؟ فبم يناجي ربه؟ أما علمت أن عيش العارفين سماع النغم من أنفسهم ومن غيرهم؟»^(٣).

(١) حلية الأولياء: (٣٠٢/١٠).

(٢) حلية الأولياء: (٣٢٧/١٠).

(٣) حلية الأولياء: (٣٤٣/١٠).

أفياء

هذه بعض خواطر عرضت لي من بعض الآيات، أغلبها من باب الملح واللطائف، والقرآن موردٌ يرده الخلق، وكل ينال منه على مقدار ما قسم الله له، نسأل الله أن يفهمنا القرآن، وأن يجعلنا من أهله، وقد قسمت على السور تيسيراً للاستفادة منها.

سورة الفاتحة

١- ... والمهتدون هم الذين يعلمون الحق ويعملون به، كما قال تعالى:
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة ٦-٧].

ابن تيمية، في الرد على الشاذلي

سورة البقرة

١- بعض ما يسميه الناس تدبرات وخواطر، إنما هي في الحقيقة «أمنيات» = أي: أنه يتمنى أن تكون الآية كما يتمنى هو لا ما هي عليه على الحقيقة!!
وقد ذم الله أهل الكتاب على ذلك، فقال: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًا﴾!! [البقرة: ٧٨].

٢- لا يحق للمرء أن يتعامل بالأخلاق الكريمة مع أبناء جماعته أو حزبه أو تياره فحسب، فإذا تعامل مع غير هؤلاء قلب لهم ظهر المجن؟! .
الأخلاق عطية من الله لكي تتعامل بها مع كل أحد، ألا ترى أن الله يقول:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، ويقول: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ﴾ . . . [الإسراء: ٥٣].

٣- وكل من كان من أهل القرآن، وله به تعلق ينبغي محبته بقدر تعلقه = لتعلقه بالكتاب!

ألا ترى أن الله ذم يهود على عداوتهم لجبريل، وذكر في تعليل وجوب محبته: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ = فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ٩٧].

٤- قلب الحقائق من أهم وسائل الطغاة للتشغيب على الحق!
ألم تر إلى قول النمرود حين قال له الخليل ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فقال الطاغية: ﴿ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾! [البقرة: ٢٥٨].

سورة آل عمران

١- ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾، ﴿ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩].

هما خطوتان، إن لم تتحقق بالأولى، فإياك أن تتلبس بالثانية!

٢- ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا، لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا،

= قُلْ فَأَدْرَأُ عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾! [آل عمران: ١٦٨].

٣- الأذواق لا تنقل خبراتها أبدًا، لا في عالم المادة ولا في عالم الروح!!

افهم هذه العبارة جيدًا، ثم تأمل قوله تعالى:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

إنك لا تستطيع أن تصف لأحد مثلًا حلاوة العنب، ولا ينوب أحد عن أحد في ذوقه، فلا بد أن يذوق حتى يعرف، ولا بد له من تجربة خاصة.

كذلك الموت: لكل إنسان تجربته، ولا بد أن يذوق، ولذا عبّر الله بالذوق، ولم يقل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، وهو كذلك.

٤- بعض من قابلت يردد أن رمضان هذا العام هو أسوأ رمضان مر عليه، أو أنه لم يجد قلبه بعد!

أو أنه لا يشعر بطعم القرآن إلى غير ذلك

= أبعد أن تركت قلبك لعام كامل تعشش الهوام فيه، ويذهب الشيطان به كل

مذهب؛ تريد علاجا له بين ليلة وضحاها، لا بد من مجاهدة وصبر!

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا، وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾! [العنكبوت: ٦٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾!!!

[آل عمران: ٢٠٠].

سورة النساء

١- في قول الرب سبحانه:

﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَعْمًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١].

قاعدة عظيمة، وهي أن الإنسان لا يدري من أين يأتيه النفع، فقد يأتيك ممن لم

تظن أنه ينفعك!

والمقصود أن يجتهد الإنسان في نفع الناس، فلعلك تقدم معروفاً يبقى لك أجره

في الدنيا والآخرة، وإن كثيراً من الأئمة صاروا أئمة بسبب نصيحة أو تشجيع أو ثناء

صادق من أشخاص قد لا نعرف أسمائهم!

٢- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾؟! [النساء: ٥٤].

كثير من الحسد مرض خفي، فتعودوا بالله من شرور النفس، وسيئات العمل.

٣- بيدك النور، فلم تذهب لغيره؟!

﴿يَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ،

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٦﴾ !

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ =

فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مِنَّةٍ وَفَضْلِ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿النساء: ١٧٤ - ١٧٥﴾ .

سورة المائدة

١- قال بعض شيوخ الصوفية لبعض الفقهاء: أين تجد في القرآن أن الحبيب

لا يعذب حبيبه؟ فلم يرد عليه، فتلا الصوفي هذه الآية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ

نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ

وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿المائدة: ١٨﴾

وهذا الذي قاله حسن.

تفسير ابن كثير

٢- كثرة الأتباع ليس لها ميزان في الشرع، فقد يأتي النبي وليس معه أحد، ومن

قول الكلبي، ﴿لَا أَمَلُكَ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾! [المائدة: ٢٥].

والعوام كما يقال: عقولهم في عيونهم.

٣- ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن

يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿المائدة: ٥٢﴾ .

صدق الله!

سورة الأنعام

١- وجود البأس دافع لوقوع التضرع!

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الأنعام: ٤٣].

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ، فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

اللهم استكانة وتضرعا إليك.

٢- للقلب بصيرة هي نوره لا يصل إليها المرء إلا بالقرآن، وإلا فالعمى لازم له، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾!!! [الأنعام: ١٠٤].

وبقدر الإقبال على الكتاب يكون الأخذ من نوره، والتبصر ببصائره. وكما أن العين لا تبصر إلا بنور قدامها، فكذلك القلب لا يبصر إلا بنور القرآن!

سورة الأعراف

١- يتحمل الأقسام جزءًا من طغيان الطاغية، ويعمهم الهلاك معه!

قال الله سبحانه:

﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمُهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وقال: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

٢- من النادر أن تجد مفتوحًا عليه في العلم، متحققًا به، يرفل في ثوب الكبر! وإن = فإن الله سينزعه عنه عاجلاً أو آجلاً.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾! [الأعراف: ١٤٦].

٣- كثير من المنتسبين إلى العلم يُبتلى بالكبر، كما يُبتلى كثيرٌ من أهل العبادة بالشرك.

ولهذا فإن آفة العلم؛ الكبر.

وآفة العبادة؛ الرياء.

وهؤلاء يُحرمون حقيقة العلم كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال أبو قلابة: منع قلوبهم فهم القرآن.

٤- كل فساد يقع فيه الإنسان فإنما هو لتقصيره في أحد أمرين: القرآن والصلاة!
وذلك أن الصلاح منوط بالتمسك بالكتاب وإقامة الصلاة، ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].
فالتمام تمام، والنقص نقص!

سورة الأنفال

١- الاستزادة من الإيمان، والدعوة إلى العمل الصالح = واجب كل وقت،
وهي فرض على الأعيان!
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فَنِكَّةٌ فَآثَبْتُوا، وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾! [الأنفال: ٤٥].

سورة يونس

١- بعض التجديد الذي يُطرح نتيجة للغفلة عن لقاء الله!
﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءآيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا عَذَابًا عَسِيراً هَذَا
أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآئِي نَفْسِي إِنْ أَنشِئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ
إِن عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ... قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا
أَدْرِكُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ءَأَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ... [فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّكُمْ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ]﴾
[يونس: ١٥ - ١٧].

٢- ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ [دَارِ السَّلَامِ] وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

٣- في الصدور شهوات تشوف .. وفيها شبهات تنبح .. وفي الصدور حجب
غليظة .. وفي الصدور طبقات مطمورة من الرين ...
وعلاج ذلك كله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي

الصُّدُورِ وَهَدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ !! [يونس: ٥٧].

٤- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدَى وَرَحْمَةً

لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ !! [يونس: ٥٧].

من السنن المهجورة في هذا الزمان؛ مجالس السماع القرآني، وقد كانت هذه المجالس تنعقد على عهد الصحابة رضوان الله عليهم!

بل كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحرص على تلك المجالس.

وهي على ضربين:

١- ما يكون بمجرد تلاوة الكتاب والاستماع إليه!

٢- ما يكون بصحبة التدارس للقرآن.

٥- ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا

لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ

الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[يونس: ٨٨ - ٨٩].

تأمل كيف لم يكتف بالدعاء، وإنما أمرهم بالعمل المتمثل في:

- الاستقامة.

- عدم اتباع الذين لا يعلمون، وهؤلاء هم من قال فيهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ [الروم: ٧].

سورة هود

١- قاعدة عظيمة النفع، جليلة الأثر، كبيرة الفائدة:

قال الله جل شأنه عن نبيه هود، قوله لقومه:

﴿إِنِّي نَوَّكْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ

مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا

إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ !! [هود: ٥٦].

٢- للقرآن المجيد أثر عظيم في تثبيت القلب أيام المحن، وأوقات نزول البلياء

والفتن!

بل إن هذا من مقاصده، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْصُصْ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنِثِي بِهِ، فُوَادِكُمْ وَجَاءَكُمْ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾! [هود: ١٢٠].

ولا يظنن ظان أن العودة إلى القرآن، وتربية النفس على تلقي آياته نوع من الهروب من الواقع - كما حدثني بعض الأفاضل -!

= بل إن كثيرًا من الضعف والوهن الذي يدب في النفوس سببه الرئيس ضعف الإيمان!

ووصل الحال ببعض الناس إلى التشكيك في القدر، وظن الظنون بالرب تعالى، ولو أنهم أقبلوا على كتاب ربهم لكان شفاءً لنفوسهم، وطهرة لقلوبهم! ولعلك تتأمل سورة الأحزاب -مثلاً-، واجتماع الكفار على رسول الله وأصحابه، حتى وصفهم الله بألفاظ جليلة تبعث في النفس ما كان عليه الأصحاب من زلزلة ووهن، ثم تأمل في تخذيل المنافقين لإخوانهم من أهل الإيمان، ثم تأمل في الذين آمنوا، وبم اتصفوا لينصرهم الله على الأحزاب!

= إنك إن فعلت فستجد خيرًا كثيرًا!

سورة يوسف

١- وفي قوله سبحانه عن الكريم سليل الكرام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ

السِّجْنِ﴾! [يوسف: ١٠٠].

تنبيه على خلق عظيم جدًا .

فإن يوسف لم يذكر خروجه من الجب = مع كونه أشد، وأعظم، إذ كان غلامًا صغيرًا وحيدًا في جب مظلم متروك للأهوال والمخاوف . . .

لم يذكر الجب، وذكر السجن = لئلا يؤذي مشاعر إخوته [وهم الذين رموه في الجب]، وقد عفا عنهم قبل قليل .

اللهم صل على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم!

٢- لطيف ولو طال الأمد .

توالي المصائب قد تنسي المصاب اللطف المصاحب .

وفي قول الكريم: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، أنس وسلوة، ولو بعد حين .

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾! [الشورى: ١٩] .

سورة الرعد

١- ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّزَاتٌ﴾ [الرعد: ٤]، وفي القلوب كذلك!

فعليك بما زكا، ودع عنك السبخ .

٢- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ﴾

[الرعد: ٣١] .

= لكان هذا القرآن الذي بين يديك، فاستمد القوة والحياة منه .

٣- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ

عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥] .

تأمل: كيف أنه بعد تفصيل المثل لأهل الإيمان قال: تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا .

أما في حال الذين كفروا، فقال: وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ، فأوجز حالهم ومآلهم!!

سورة إبراهيم

١- تذكير نفسك بأيام الله، وهي (نعماؤه وبلاؤه عليك) كفيل بتربية نفسك على الصبر والشكر!

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

٢- وفي القرآن، ذكر الله دعوة الخليل: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

وفي ذكر ولده الأول -إسماعيل-، قال الله في وصفه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾ [مريم: ٥٥].

وفي ذكره ولده الأخير، أمره الله قائلاً: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، وقال هو -بأبي هو وأمي-؛ «وجعلت قره عيني في الصلاة!» إلى الصلاة.

سورة الحجر

بمقدار حفظك للكتاب تلاوة وتدبراً يكون حفظ الله لك!
ألم تر أن الله يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].
وكما يقول مولانا الأنصاري: «الخدام للمحفوظ = محفوظ، فإن أنت حفظت المحفوظ = حُفِظْتَ».

سورة الإسراء

١- مغبون من رضي بالدنيا وعمل لها، ولن يأتيه منها إلا ما قُسم له، يقول ربنا ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾،

[لِمَنْ تُرِيدُ]،

= ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ !! [الإسراء: ١٨]

وعلى الطرف الآخر:

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لِمَا سَعَىٰهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعِيهِمْ مَشْكُورًا﴾

[الإسراء: ١٩].

٢- إذا غرك التفاضل بين أهل الدنيا، فتذكر تفاضل الناس يوم الدين، وانظر ثم انظر ثم انظر في تباين التفاضل بين أهل الدنيا، لتستدل به على التفاضل هناك!

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ،

وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ،

وَأَكْبَرُ نَقِيضًا﴾ [الإسراء: ٢١].

٣- قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

عَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

- فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسايح الأشياء غير ظاهر في بادي الرأي!
وذكر في حكمته: أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان في حقها، وأنتم تعصون= ختم به مراعاة للمقدر في الآية وهو العصيان.

- وقيل التقدير: حلما عن تفريط المسبحين، غفورا لذنوبهم.

- وقيل حلما عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح بإهمالهم النظر في الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع في مخلوقاته مما يوجب تنزيهه.

الإتقان للجلال السيوطي

سورة مريم

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤].

قال أبو جعفر: يقول: ولم أشق يا رب بدعائك، لأنك لم تخيب دعائي قبل
إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك، بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك.

سورة طه

١- وتأمل في سورة طه!

وانظر كيف أن موسى حين أحس بلذة القرب وروعة الأنس أطال الكلام
وأطنب، قال إجابة عن سؤال: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه: ١٧].

﴿هِيَ عَصَايَ،

أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا،

وَأَهْتَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي،

وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى﴾ !! [طه: ١٨].

وتأمل قول الرب له قبلها، ﴿وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ،

فَأَسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]،

فبقدر استماعك لوحيه، يكون أنسك به!

ولن تأنس به إلا إن اختارك لهذا المقام.

فقل يا رب!

- حين عاش الكلیم لحظة القرب، أطنب في الكلام، ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ
يَا مُوسَى؟

قَالَ هِيَ عَصَايَ،

أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا،

وَأَهْتَشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي،

وَلِي فِيهَا مَنَارِبٌ أُخْرَى﴾ [طه: ١٧-١٨].

وأنت تقترب كل يوم مرات ومرات -أو يفترض أن تكون كذلك- = فالإطتاب
الإطتاب في موضع القرب!

﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾! [العلق: ١٩].

٢- أن يحملك الشوق، فإن لك السبق!

قال الكلبي موسى: ﴿هُمْ أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِرَضَى﴾!! [طه: ٨٤].

سورة الأنبياء

قد يتليك بالذنب لتتكسر إليه!

فإياك أن يستولي الذنب على قلبك، فتفر من الله، بل فر إليه، وكلما أذنبت =
تب، ولن يمل الله حتى تملوا.

﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

[الأنبياء: ٨٧]،

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكُمْ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾!!

[القصص: ١٦].

سورة الحج

﴿وَيَسِّرِ الْمُخْتَبِينَ﴾ [الحج: ٣٤].

لا تخرج من هذه الأيام إلا وقد اتصفت بصفة الإخبات،
وهي صفة ذكرها الله في ذكره للحج والنسك.

١- ذكر مع وجل.

٢- صبر على المصاب.

٣- إقامة للصلاة.

٤- إنفاق من الرزق.

﴿مَنْ هُمْ بِئْسَ وَجْهًا فَمَهْ سَمِيمًا وَيَسِّرِ الْمُخِيطِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ
وَأَنْصَرِفُونَ عَلَى مَا آصَابَهُمْ وَالْمُقِيبِ الصَّلَاةِ وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

سورة المؤمنون

١- ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنٍ،

سَاعٍ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ؟!﴾

بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦].

٢- التدبر بالمشاهدات!!!

ومن التدبر للقرآن المجيد، الربط بين المشاهدات اليومية، وبين آيات القرآن!
ومن أمثلة ذلك:

عن أبي الأحوص عن عبد الله، قرأ هذه الآية ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]... الآية، قال: ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار، وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه.

٣- استحضر حين تتعب نداء الله لأهل النار -نجانا الله منها- مذكراً لهم بحال أهل الإيمان، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].
﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان: ٧٥].
﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

ألا بالصبر تبلغ ما تريد ..

ورأينا في المال ذلك الكنز الدفينا
فاز من قام الليالي بصلاة الخاشعينا

سورة الفرقان

١- القرآن مستودع الأسرار، إذ ﴿أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾!!

[الفرقان: ٦].

٢- فهم كلام أهل العلم، وفائدة:

ذكر ابن القيم في قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْوَاحِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، قول مجاهد: «اجعلنا مؤتمين بالمتقين، مقتدين بهم».

ثم قال:

«وأشكل هذا التفسير على من لم يعرف قدر فهم السلف وعمق علمهم، وقال: يجب أن تكون الآية على هذا القول من باب المقلوب، على تقدير: واجعل المتقين لنا أئمة».

ومعاذ الله أن يكون شيء مقلوباً على وجهه، وهذا من تمام فهم مجاهد رحمته الله، فإنه لا يكون الرجل إماماً للمتقين حتى يأتهم بالمتقين، فنبه مجاهد على هذا الوجه الذي ينالون به هذا المطلوب= وهو اقتداؤهم بالسلف المتقين من قبلهم فيجعلهم الله أئمة للمتقين من بعدهم.

وهذا من أحسن الفهم في القرآن، وألطفه، ليس من باب القلب في شيء، فمن ائتم بأهل السنة قبله ائتم به من بعده ومن معه».

قلت: وهذا الباب يحتاج إلى رسوخ، ولذا تجد الغريادر بالاعتراض قبل الفهم، والتخطئة قبل التوجيه.

سورة الشعراء

ولم يذكر القلب السليم في القرآن، إلا مع ذكر الخليل إبراهيم؛

ففي سورة الشعراء أخبر ﷺ أنه لا ينفع يوم البعث مالٌ ولا بنون ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩].

وفي سورة الصافات، وصف الله قلب إبراهيم بالسلامة، ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤].

إلى من يريد قلباً سليماً، دونك قصة الخليل لتتلمس منها كيف تُحصَلُ واحداً! إلى القرآن.

سورة النمل

١- رحمة المرء بأهله من تمام رجولته، ألم تر إلى الكليم قال لأهله، ﴿إِنِّي كَانْتُ نَارًا سَائِرُكُ مِنْهَا يَحْبِرُ أَوْ آتِيكُمْ بِسِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾!! [النمل: ٧].

٢- ﴿وَأَنْ أتلُوا الْقُرْآنَ﴾ [النمل: ٩٢].

زيت القرآن براق قابل للاشتعال، فإن اشتعل = فالخير لك!
فقط: افرك الحجر، أو اقدح الكبريت.

سورة القصص

١- لقد كان من دعاء الصالحين، أن ينجيهم الله تعالى من مظاهرة المجرمين، ومعاونتهم في شيء من أمورهم، ألا ترى قول الكليم:

﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص: ١٧].

قال الفقيه الإمام القاضي أبو محمد ابن عطية: «واحتج أهل العلم والفضل بهذه الآية في خدمة أهل الجور، ومعاونتهم في شيء من أمرهم، ورأوا أنها تتناول ذلك، نص عليه عطاء بن أبي رباح وغيره».

٢- عن الشعبي قال: من قتل رجلين فهو جبار؛ قال: ثم قرأ ﴿أَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ مِمَّا كَفَرْتُمْ فَتَكُونَ مِنَ الْمُنْصَلِحِينَ﴾ [القصص: ١٩].

وعن قتادة: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩] إن الجبابة هكذا، تقتل النفس بغير النفس.

وعن ابن جريج، ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ١٩] قال: تلك سيرة الجبابة أن تقتل النفس بغير النفس.

٣- لو أتيت من قبل من أسديت إليه معروفًا = فإياك أن تترك فعل المعروف.
فإن الكليم ﷺ أتى من قبل الإسرائيلي، وقد أراد دفع الأذى عنه، فظن أن موسى قاتله، فقال: ﴿يَمْوَسَىٰ أَرِيدُ أَنْ تَفْتُلَنِي كَمَا فَنَنْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنَّ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾! [القصص: ١٩].

ومع ذلك ففي أول موقف وضع فيه موسى، وجد الفتاتين، وكان من أمرهما ما كان، ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ [القصص: ٢٤]، فأبدله الله نعمة وسرورًا.
فأفعل المعروف، وانتظر عاقبته عند رب العالمين.

٣- الوظائف الدينية، والمراتب المحصلة عن طريق الشرع لا تتزاحم!
قال الكليم: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ [القصص: ٣٤]،

وقال الصالحون عند فقد نظرائهم:

خلت الديار فسدت غير مسوّد ومن الشقاء تفردني بالسوّد

٤- ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١].

لقد وصل الذكر إليك، فماذا أحدث في قلبك وسيرك إلى الله!

وفي قول بعض أهل التفسير: «وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ قَوْلًا تَضْمَنُ مَعَانِي مَنْ تَدْبَرُهَا اهتدى».

سورة العنكبوت

١- من طرق التدبر للقرآن المجيد، الربط بين «أمثال القرآن» وصورها المعاصرة!

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٢٧].

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

٢- أسماء القرآن أعلام وأوصاف، وللكتاب عدة أوصاف ذكرها الله فيه!

وبقدر أخذك وقربك من كتاب الله الكريم = يكون أخذك من هذه الصفات.

فإذا أردت الذكر، والمجد، والعزة فعليك بالقرآن تلقياً وتبليغاً.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾! [العنكبوت: ٥١].

٣- ستظل تدفع في الران الذي يعوق سيرك إلى الله، فإياك أن تنقطع عن

إزالته!!

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . . . وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

سورة لقمان

يقول الإمام ابن عطية في قول الله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ

كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

«وهذه الآية بحر نظر، نور الله تعالى قلوبنا بهداه!»

سورة السجدة

قاعدة:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: ٢٥].

تأمل: ﴿هُوَ﴾!

سورة الأحزاب

إذا لم يفتح الله عليك في نوع من الخير فلا تكن معوقاً عنه، فإذا فتح الله لك باباً من العلم -مثلاً-، وفتح لغيرك في غير هذا الباب فلا تكن معوقاً عنه، ألم تر أن الله ذم المعوقين عن الجهاد فقال: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هُمْ أَيْسَاءُ، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨].

سورة سبأ

الوحي هو طريق الاهتداء على الحقيقة!

ألا ترى أن الله حكى قول النبي ﷺ ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي، وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠].

وفي الآية إشارة إلى أهمية دعاء الرب أن يوفق الإنسان للتمسك بالوحي وسلوك طريقه.

سورة فاطر

١- إذا فتح الله لك أبواب رحمته، فلن تشقى أبداً، فقط: أدمن قرع الباب! وإذا منع = فمنعه حكمة.

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ = فَلَا تُمْسِكْ لَهَا، وَمَا يُمْسِكُ = فَلَا تُرْسِلْ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

٢- لن تخلو حياتك -وإن كنت فيما تحب- = من منغص وكبد، فعشها كما هي، لا كما تريد، وتذكر يوم النعيم المقيم لتعمل له:

﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾

إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿[فاطر: ٣٤].

٣- عن إبراهيم التيمي قال: «ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأن أهل الجنة قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤].
وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].»

سورة يس

١- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِرُ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ... [يس: ٢٠].

فوائد من قصة الرجل في آل ياسين:

١- أبسط داعية (أسلوب سهل).

٢- لم يدع إلي نفسه (اتبعوا المرسلين).

٣- قتلوه ومع ذلك تمنى لهم الهداية ﴿إِنِّي ءَأْمَنُ بِرَبِّكُمْ﴾ ... ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ ... [يس: ٢٥-٢٦].

٤- دعا من غير تكليف.

٥- أن الله تعالي تحدث عنه أكثر من المرسلين، وأفاض سبحانه في ذكره، بل قال ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ﴾ [يس: ٢٨]، ولم يقل قومهم!!
وفيها فوائد أخرى يوجد بها الكرام.

٢- ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ﴾ [يس: ٥٥].

لا تشغل بشغل الدنيا عن شغل الآخرة، فإن فعلت فأنت مغبون، فإن كل نعيم هنا لا محالة زائل، أما هناك فلك ما تدعي!

ولو علم أهل الجنة عمن شغلوا ما همهم ما شغلوا به!

سورة ص

إذا أردت أن تكون قويًا في الحق، قويًا في طاعة الله، ذا بصيرة في الأمور وعواقبها، موفقًا إلى السداد = فكن من أهل الآخرة تذكيرًا وتذكيرًا!
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ [ص: ٤٥-٤٦].

سورة الزمر

١- ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَاللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].
في بعض أقوال أهل التفسير، أن القنوت قراءة القارئ في الصلاة.
القرآن والصلاة في ناشئة الليل!

«إن لناشئة الليل قناديل أخرى تنبض بنور أخضر، نور يمدد زيت الحذر من وعيد الله، واريح المحبة لجمال الله .. فتبتهج الدوالي حزنًا وفرحًا، وتنشط الخفاف سيرًا إلى الله، قيامًا وسجودًا .. ذلك فصل فريد خارج فصول المدار، ومطلع خفي من غير المطالع الخمسة، له إشراق ربيعي، وأريج من كنان الجنة، يملأ الحراب مسكًا وريحانًا ..

فارشف يا سالك ...! هذه كأس العارفين بالله، تفيض عليك بعلمه، فارشف ولا تك من الجاهلين! [فريد الأنصاري!]!!!

٢- السكينة .. السكينة يا أهل القرآن

إن المرء ليشتاق إلى قارئ هادئ القراءة إذا سمعته حسبت أنه يخشى الله!
إن الصوت المرتفع قد يجلب مزيدًا من البكاء، لكنه يبعد كثيرًا من السكينة!
﴿يُمْ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

سورة غافر

الطاغية إذا لم يستطع مجابهة الحجة بالحجة = انتقل إلى القتل!
ألا ترى قول فرعون: ﴿ذُرُوفِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبِّي﴾ ... [غافر: ٢٦].

مستفاد من الشيخ مساعد الطيار

سورة فصلت

١- لا تسأم

﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ = يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾!!! [فصلت: ٣٨].

فقم إلى جنة عرضها كعرض السماء وا?رض، مغبون من لم يجد فيها موضعاً
لقدمه!

٢- للقرآن أسرار .. لا تظهر إلا بطول المصاحبة!

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

٣- القرآن .. والعبادة الموسمية

بعض الناس يتعامل مع الكتاب العزيز تعاملًا موسميًا، فلا يقترب منه إلا في
مواسم الطاعة خاصة (رمضان).

وهؤلاء لن يُحرّموا نور الكتاب -ياذن الله الكريم-، لكنهم لن يحصلوا من هذا
النور إلا بمقدار القرب من الكتاب.

وصاحب الهمة، طالب النور، لا بد أن يزداد قربه من الكتاب يومًا بعد يوم،
وهو بهذا آخذ في الاهتداء بنور الكتاب، دافع للران الموجود على القلب.

وتذكروا قول ربنا عن الكتاب: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].

فبقدر قُربك = يكون أخذك!

سورة الزخرف

لا تكن ولعًا بالخصومة، فإن الله ذم قومًا فقال عنهم: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، فلتكن خصومتك للحق وبالحق!

سورة محمد

١- سورة محمد ﷺ

سورة محمد هي سورة القتال!

وبعدها مباشرة سورة الفتح، وفي هذا إشارة للفظن.

وفي هذه السورة ذكر الله صلاح البال، ولم يذكر الله صلاح البال في القرآن صريحًا إلا في هذه السورة، ومن تأملها وجد راحة البال المنشود.

وفي السورة الثلاثيات المفتوح بها الكتاب: (أهل الإيمان - أهل الكفر - أهل النفاق).

وفيها فضح للvensف الأخير، وبيان لطريق من طرق كشفهم.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ١-٢].

٢- من نعم الله على أهل الجنة، صلاح البال!

بل هو من أجزية الشهادة، ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمَمِ ۝ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا كَمَمِ﴾ [محمد: ٥-٦]، وقد قيل إن عرفها لهم أي: طيبها.

وقد حرر الإمام أبو محمد القاضي ابن عطية، أن صلاح البال يكون في القلب الذي هو موضع الفكر والنظر، المؤدي إلى صلاح الحال.

فاللهم أصلح بالنا، واجعلنا من أهل النعيم.

والحمد لله وحده على كل حال!

سورة الحديد

١- طول العهد في البعد عن الوحي = سبب عظيم من أسباب قسوة

القلب!!

وليس للإنسان إلا أن يتصالح مع الوحي، ويعالج نفسه للإقبال على الوحي قرآناً وسنة لإذابة تلك القسوة، كل هذا مع دعاء للذي يحيي الأرض!

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:

١٧]، أي: كما أن الله يحيي الأرض بعد موتها فهو الذي يحيي القلب بعد قسوته!!

اللهم ارزقنا حياة بنور وحيك!

٢- ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ،

وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ =

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾

لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ،

وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَانَكُمْ،

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣].

خلاصة الأمر: لا تحزن على ما فاتك من الدنيا، ولا تفرح بما أوتيت منها،

فأنت لا محالة إلى الله صائر.

سورة المجادلة

قاعدة:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا = أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

سورة الملك

إن الله تعالى هو الذي خلق الموت والحياة، وقدر على كل إنسان بما هو كذلك نصيبه من البلاء!

يقول تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾! [الملك: ١-٢].

أطل تأملك في ختام هذه الآية، كيف أن الله ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين، ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، إنك -إن فعلت- تصب خيرًا عظيمًا!

سورة الجن

لما استمعت الجن القرآن قال بعضهم لبعض أنصتوا، وقالوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ﴿٢﴾ [الجن: ٢]، وفي الأثر: (لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد).

لم يبق عليك إلا أن تقرأ، وتفهم، لتشهد العجائب.
عجائب القرآن!

سورة المدثر

ليس في طريق الآخرة وقوف!
﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِنَا﴾ [المدثر: ٣٧].

سورة الإنسان

١- سورة الإنسان، سورة ﴿هَلْ أَتَى﴾!
من السور الفريدة، فريدة في خطابها، فهي تتخاطب الإنسان من حيث كونه إنسانًا، وهذا المعنى من المعاني المتواطئة!

في هذه السورة بلاغ للجميع .

تبدأ السورة بما قبل الوجود، مرورًا بالنشأة، إلى الطريقين ﴿إِمَّا شَاكِرًا، وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

ثم مضت السورة تحذر تحذيرًا مخيفًا جدًا على وجاته .

مع تفصيل للعيش الرغيد، والنعيم المقيم .

ثم تذكر السورة طريق النعيم، بالاتصال بالكتاب، وبالحديث بأدوات العظمة :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ! [الإنسان: ٢٣].

وحينما يُذكر القرآن فلا بد من الصلاة: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُمْ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا

طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦].

كل هذا بين ترغيب وترهيب، ثم تختم السورة ببيان عاقبة الابتلاء الذي خلق

الإنسان على أساسه ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

[الإنسان: ٣١].

في هذه السورة من الأسرار ما يُدهش الألباب، ووالله وبالله، هذه السورة

نبراس لكيفية دعوة الناس، وطريق هدايتهم واستقامتهم، فالحمد لله الذي أنزل

هذا الكتاب إلينا ليكون للعالمين نذيرًا.

٢- قاعدة:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ !! [البلد: ٤].

وقال الله في سورة الإنسان!!!

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن تُّظْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢].

سورة النازعات

قال الإمام ابن عطية رحمته الله: «وقوله تعالى: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] نهاية

في المخرفة = ونحوها باق في ملوك مصر وأتباعهم».

مع الظلام الدامس، والضباب الكثيف، ليس لنا إلا أن نقول: اللهم اكشف الغمة أنت رب المستضعفين.

سورة الطارق

كثير هو الزيف في عالم الناس، لكنهم سيقفون جميعاً أمام الحق، بالحق، ليظهر الحق!

﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿١﴾ فَمَا لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ٩-١٠].

سورة الفجر

في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

قال الإمام النيسابوري في تفسيره:

وإنما قال -تعالى- في جانب البسط: ﴿فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ [الفجر: ١٥] أي جعله ذا نعمة وثروة، ولم يقل في طرف القبض: (فأهانته وقدر عليه) لأن رحمته سبقت غضبه؛ فلم يرد أن يصرح بإهانته عبده، ولئلا يكون الكلام نصاً في أن القبض دليل الإهانة من الله، فقد يكون سبباً لصلاح معاش العبد ومعاذه.

سورة العلق

كلما أقبلت القرآن أكثر = تعرضت لكرم الأكرم.

ألم تر أن الله قال في أول التنزيل: ﴿أَنزَأْ = وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ﴾! [العلق: ٣].

ملاحق

(١)

الملحق الأول

علم التفسير وسؤال المنهجية

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبيه وعبدته، وآله وصحبه من بعده، أما بعد:

فإن علم القرآن العظيم: هو أرفع العلوم قدرا، وأجلها خطرا، وأعظمها أجرا، وأشرفها ذكرا، وإن أحق ما صرفت إلى علمه العناية، وبلغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم به إلى سبيل الرشاد هدى، وإن أجمع ذلك لباغيه، كتاب الله الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنن الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

ما السؤال؟

إننا لنشكو في هذه الأزمان من العشوائية في طلب العلوم على اختلافها، وعلم التفسير من العلوم التي أخذت نصيبها من تلك العشوائية، وقد ظهر مؤخرا -بحمد الله- توجه للبحث عن المنهجية لتحل بدلا من العشوائية، ولكن فريقا انشغل بالسؤال عن (ماذا)، وأصبح هذا السؤال من معوقات التحصيل أيضا!!، وفي هذه المقالة لن يكون الاهتمام بسؤال (ماذا أقرأ؟)، ولكن سأحاول الإجابة -أكثر- عن سؤال (كيف أقرأ؟).

إن علم التفسير ليس كغيره من العلوم التي وجدت فيها متون يترقى الطالب فيها

من متن يصور مسائل العلم، إلى آخر يصور المسألة مع إقامة الدليل، إلى ثالث يضيف دفع الشبهات عن الدليل، وتحريير المسألة.

ولذلك فلا بد أولاً من سؤال يبنى عليه طبيعة الكتب التي ستقرأ، وطريقة القراءة، وهو ما الهدف من قراءتك لكتب التفسير؟، واختصاراً فإن الناس ينقسمون في قراءة كتب التفسير إلى:

١- مرید لمعرفة معنى الآية الإجمالي، مع إدراك شيء من لطائفها، ليفهم كلام ربه ﷻ، إذ كيف يلتذ بكلام الله من لا يعرف معانيه!!؟

٢- طالب علم يريد -إضافة إلى ما سبق- الترقى في هذا العلم كما يترقى في غيره من العلوم.

فأما الأول، فإنه بحاجة إلى أمرين:

١- إدراك غريب القرآن، ويكفيه ما يعينه على إدراك معنى الكلمة من أقرب طريق، ككتاب الشيخ العلامة/ مخلوف، أو كتاب د. الخضير (السراج في بيان غريب القرآن).

٢- إدراك المعنى الإجمالي، وهناك كتب ألفت في هذا المجال، وهي كتب يسيرة سهلة، ككتاب التفسير الميسر، أو المختصر في التفسير، أو تفسير العلامة السعدي.

فإن أردنا أكثر من ذلك فعليه بمختصرات التفسير، كمختصرات ابن كثير^(١)، مع

(١) مختصرات التفسير كثيرة جداً، والتفضيل بينها ليس بالأمر اليسير، وأغلبها متقاربة، وقد أكثر الناس من السؤال عن أفضل المختصرات!

وهذا السؤال معيق عن القراءة عند كثير من السائلين! لذلك: فإن الإنسان لن يعدم فائدة إن اختار من الكتب التي يُنصح بها، ولن يفوته شيء كثير في الكتب التي تركها.

وعموماً، ولأن السؤال متكرر، فإن الذي اختاره، هي الكتب التالية: =

الاستعانة بالكتب التي تهتم بذكر لطائف الآي، ومن الإصدارات التي تفيد هذه الطبقة، كتب الشيخ العلامة/ فريد الأنصاري، والمبدع الأستاذ/ إبراهيم السكران، وإصدارات مركز تدبر.

أما الثاني -وهو موضوع المقالة-، فيحتاج أن يسلك طريقًا تعينه على إدراك مراده، وذلك ما سأجته في إبرازه في الآتي، فأقول:

أولاً: إن طالب العلم بحاجة إلى معرفة الفرق بين التفسير وبين المعلومات

= ١- التفسير الميسر.

٢- المعين، للأستاذ مجد مكي.

٣- المختصر في التفسير.

٤- المنتخب، إصدار مجمع البحوث.

وهذه الكتب تصلح للجميع، وتمتاز بسهولة العبارة، والبعد عن الإغراب، إلا ما قد يوجد في التفسير الأخير.

أما طلبة العلم، ممن يريدون الكتب المتوسطة، فالاختيار واقع بين كتب كثيرة من أهمها:

١- التسهيل، لابن جزي.

٢- جامع البيان، للإيجي.

٣- تفسير ابن أبي زمنين.

٤- تفسير أبي المظفر السمعاني.

تنبيهات:

- تفسير الجلالين والقاضي البيضاوي لا يصلحان للمبتدي، بل هما من أعوص الكتب، فلا تغتر بصغر الحجم، وإن كثيرًا من كبار أهل الفضل تحاملوا على الجلالين في تعليقاتهم على الأقوال التفسيرية في الكتاب، لأجل أنهم لم يراجعوا أصول الكتاب، ويردوا الأقوال إلى مصادرها.

- لا تشغل بالمفاضلة، اقرأ أي كتاب أثنى عليه أهل الاختصاص أورشحوه فلن نعدم الخير.

- أفضل مختصرات ابن كثير فيما أرى:

١- اليسير، بإشراف د. صالح بن حميد.

٢- مختصر العلامة أبو الأشبال عمدة التفسير.

الموجودة في كتب التفسير، فليس كل معلومة موجودة في كتب التفسير هي من صلب علم التفسير، إذ كل علم له بالقرآن تعلق، وقد يستطرد المفسر في علم برع فيه، فيتكلم عليه في سياقات كلامه عن الآيات.

ثانيًا: إذا علمت ذلك، فإن أولى ما تتوجه إليه العناية أن تعتنى بالمعاني، فالتفسير في حقيقته، هو إدراك معاني القرآن، وهي - لعمري - ليست بالهينة، وليس الخبر كالمعاينة وقد يعسر على صاحب الوجد أن يصف الصبابة وصفًا يحقق ما في نفسه في نفس قارئه، فاطلب = تجد.

ثالثًا: أول ما تهتم به -رعاك الله- أن تدرك أمرين اثنين:

١- إدراك غريب القرآن، ومن أيسر كتبه (السراج للخضيرى)، وأجلها (مفردات الراغب).

٢- إدراك المعنى الإجمالي، فاهتم بالكتب التي تصور المعنى في ذهنك تصويرًا صحيحًا، وابتعد عن الكتب التي كتبت بالأسلوب الإنشائي، فإنها ستشوش عليك ذهنك، ومن الكتب التي أقرحها لك، (التفسير الميسر - المختصر في التفسير - تفسير ابن جزى ط. المنتدى - تفسير ابن أبي زمنين ط. الفاروق، - تفسير الإيجي، جامع البيان ط. غراس).

ومما أختاره وأشجع عليه، أن لا تكتفي في هذه المرحلة بكتاب واحد، بل كن ذا همة، واجمع بين كتابين من كتب التفسير لثلاث تعنى في المرحلة التالية، وهما: (التفسير الميسر، وتفسير الإمام ابن جزى الكلبي ط. المنتدى الإسلامي).

كذلك فابتعد عن بعض الكتب التي راج أنها كتبت للمبتدئ، وإنما غرهم قصرها، وهي في الحقيقة من الكتب التي تحتاج إلى عالم ماهر لما فيها من إلغاز واستغلاق، ككتاب الإمامين الجلالين، وكتفسير القاضي البيضاوي.

وفي هذه المرحلة عليك أن تطالع شيئًا في أسباب النزول، مع تكرار قراءة أصلك في التفسير أكثر من مرة، حتى ترى أنك قد استظهرته لتنتقل إلى ما بعده.

واحذر في هذه المرحلة من أن تعيقك الإشكالات، أو الاستطراد في غير فهم المعانى.

رابعاً: بعد هذه المرحلة يلزمك لزماً أن تطلع على كتب أصول التفسير، وعلوم القرآن، ومناهج المفسرين [راجع: جهود الأمة في أصول التفسير، علوم القرآن تاريخه وتصنيف أنواعه، كلاهما للشيخ د. مساعد الطيار].

خامساً: بعد هذه المرحلة التي تكون قد أدركت فيها:

- ١- المعنى الإجمالي، مع معرفة الغريب.
 - ٢- وأدركت طرفاً من علوم القرآن وأصول التفسير، ومناهج المفسرين.
 - ٣- مع دراستك لمبادئ العلوم الشرعية، إذ هن إخوة لعلات.
- فأنت مؤهل للدخول في المرحلة التالية، وأهم ما ينبغي عليك أن تفعله:
- «أن تعرف الأقاويل في التفسير».

وهذا يارعاك الله، دأب أهل التحقيق من المفسرين، وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية فيما حكاه ابن رشيقي يقول: ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مئة تفسير، ثم قال ابن رشيقي: فكتب الشيخ نقول السلف مجرداً عن الاستدلال، على جميع القرآن، وكتب في أوله قطعة كبيرة بالاستدلال، ورأيت له سوراً وآيات يفسرها ويقول في بعضها: كتبته للتذكّر، ونحو ذلك^(١).

ومن الكتب المرشحة لهذه المرحلة، كتاب الإمام ابن الجوزي، (زاد المسير، ط. المكتب الإسلامي، أو دار الفكر)، وهو أحد الكتب التي كان يعتمد عليها الشيخ تقي الدين.

وفي هذه المرحلة، إما أن تعتمد على قراءتك وذهنك، وإما -وهو المختار- أن تلخص الأقوال مع الاعتناء بتحفظها، ونسبتها إلى أصحابها.

(١) الجامع: (٢٣٨).

وفي هذه المرحلة، اهتم بمطالعة بعض كتب التفسير المناسبة لمرحلتك،
ككتاب الإمام الحافظ أبي الفداء ابن كثير، وكتاب التفسير للإمام ابن أبي حاتم،
والدر المنثور للحافظ السيوطي.

والجامع لهذه الكتب هي الاهتمام بجمع الأقاويل في الآيات، مع ما في بعضها
من التحرير.

ولا تصلح مذاكرة هذه المرحلة مرة واحدة، ولذلك فأنت لو وضعت زاد المسير
كأصل لهذه المرحلة، فاجعل لك مع كل مذاكرة له، أحد كتب التفسير الأخرى
المعينة على شيء من التحرير.

سادسًا: وبعد تلك الرحلة -أيها الموفق- فعليك بكتابين عظيمين جليلين،
لإمامين من أئمة هذا الشأن، أحدهما الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري،
وكتابه جامع البيان، الذي قال فيه، «حدثني به نفسي وأنا صبي، وقال: استخرت
الله تعالى في عمل كتاب التفسير وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن
أعمله فأعاني».

وقال بعضهم: رأيت في النوم كأني في مجلس أبي جعفر والناس يقرؤون عليه
كتاب التفسير، فسمعت هاتفا بين السماء والأرض يقول: من أراد أن يسمع القرآن
كما أنزل فليسمع هذا الكتاب». [معجم الأدباء لياقوت].

وأما ثاني الأئمة فهو المحقق الفقيه القاضي الإمام أبو محمد ابن عطية، وكتابه
المحرر الوجيز، الذي قال في مقدمته، وهي كالشهد حلاوة فارجع إليها: «وأنا
وإن كنت من المقصرين فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت
خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مني، إذ كتاب
الله تعالى لا يتفسر إلا بتصرف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة
مجهودي، فليستصوب للمرء اجتهاده، وليعذر في تقصيره وخطئه وحسبنا الله ونعم

الوكيل.»، وكم أتمنى أن تقف على تلك المقدمة، لتشهد مطالع الأنوار، وما احتوت عليه من أسرار.

فابدأ بكتاب الإمام ابن عطية، فافهمه، وقلِّبه، واجعله سميرك، فهو كتاب مؤسس لا يستغني عنه طالب هذا العلم الجليل، وهذا الكتاب يحتاج إلى نظر دقيق، وتأمل أنيق.

وعليك في أثناء قراءتك، بالاعتناء بالتالي:

١- معرفة أقوال السلف، مع ضبط ما حدث بعدهم من الأقوال الصحيحة المحتملة.

٢- القواعد العلمية التي يستخدمها العلماء من أهل التحقيق.

٣- طريقة الوصول للمعنى.

٤- مناقشة الاختلاف بين المفسرين، مع توجيه أقوال السلف خصوصاً عند ابن عطية.

٥- التعرف على منهجية المفسر، وهي مهمة جداً في إدراك المؤثرات على المفسر، كعقيدته، أو توجه تفسيره.

ومما ينبغي الاهتمام به، الاهتمام بتطبيقات علوم القرآن في كتب المفسرين، وإنما -نهبت على هذا- لأن كتب التفسير تحتوي على تطبيقات لا توجد في مصنفات علوم القرآن.

نصائح عامة

١- اقصد البحر واخل القنوات، وأعني بهذا أن تعتنى بأصول الكتب لا مختصراتها، فإن كثيراً من المختصرات من شأنها، أن تبعد عنك الاستفادة من منهجية التعامل مع مشكلات التفسير، وذلك كأن تقرأ مختصراً لابن كثير (على

جودة بعض مختصراته)، فستضيع عندك فائدة تعامل الإمام مع أسانيد التفسير، وهي من الدقائق.

٢- الإشكالات في كتب التفسير كثيرة، ولذلك فاحرص على تجاوز هذه الإشكالات، وعدم الإغراق فيها، بل كل بحسبه.

٣- اجعل لك كتابًا يكون أصلًا تضيف إليه فوائد الكتب الأخرى أثناء قراءتك، بحيث تستطيع أن تستظهر الأقوال وتوجيهها من خلاله.

٤- لا بد من العناية بالتعرف على منهج السلف، ومن سار على منهجهم من خلال التطبيقات العملية التي يقومون بها في تفاسيرهم.

٥- اعتن بتطبيق أصول التفسير على ما يقرأ من التفسير^(١).

٦- معرفة المنهج العام للمفسر، والربط بين معلومات الكتاب، وهذا مما يعين في فهم ما يستغل من كلام المفسر، وكذلك الرجوع إلى موارد المفسر الأصلية إن أمكن، فقد يتبين من خلال ذلك خطأ في فهم المفسر لمن نقل عنه، كما أن بعض المفسرين يختصر بعض الأخبار والآثار مما قد ينهم على من يقرأ كلامه، فإذا عاد إلى أصوله التي نقل منها توضح هذا الإبهام. [مستفاد من مقال، للشيخ مساعد الطيار].

٧- عليك بقراءة كتب أهل التحقيق من المفسرين ومنهم: (الطبري - ابن عطية - ابن تيمية - أبو حيان - ابن كثير - الشنقيطي - ابن عاشور).

(١) من هجم على كتب التفسير دون دراسة لأصول التفسير، لن يستفيد تمام الاستفادة منها، وسيضيع عليه كثير من الفوائد التي يمكنه تحصيلها لو اهتم بدراسة الأصول. وإحكام الأصول يعطي تصورًا حسنًا للمنهج الحقيقي للمفسر، على الطريقة المنهجية التحليلية لا الطريقة الوصفية.

وكثير من تلك الأصول لا ينص عليها الأئمة نصًا، وإنما تستنبط من طرائقهم وتصرفهم مع الخلاف والوفاق.

وأخيرًا، لا تحسبن طريق العلم ميسورًا لأهل التكاسل، بل إنه لن يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وقديمًا قال ابن معطي:

وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ جَلِيلُ الْقَدْرِ وَفِي قَلِيلِهِ نَفَاذُ الْعُمْرِ
فَأَبْدَأْ بِمَا هُوَ الْأَهَمُّ فَالْأَهَمُّ فَالْحَازِمُ الْبَادِي فِيمَا يُسْتَتَمُّ
فَإِنَّ مَنْ يُثَقِّنُ بَعْضَ الْفَنِّ يُضْطَرُّ لِلْبَاقِي وَلَا يَسْتَغْنِي

هذا، ودونك البحر فانهل، وعن دعوة لأخيك لا تغفل، والحمد لله المحمود في كل حال، والصلاة والسلام على نبيه والآل.

(٢)

الملحق الثاني

منهج في علوم القرآن وأصول التفسير

الحمد لله :

اعلم -علمني الله وإياك- أن مناهج الطلب مبنوثة معروفة، وقد كتب فيها ما كتب، وأرى أن كثرة المناهج مانعة من الطلب في هذا الزمان، وهي من المعوقات لكثير من الطلاب.

والنصيحة؛ أن لا تشغل بسؤال المنهجية كثيراً بل انشغل بالعمل وبه تدرك بغيتك بإذن مولانا الكريم.

أما عن علوم القرآن، فالذي ينبغي على غير مريد التخصص أن يفعله:

١- قراءة بحث: علوم القرآن تاريخه وتصنيف أنواعه، والمنشور بمجلة الإمام الشاطبي، للشيخ مساعد الطيار.

٢- مذاكرة القواعد الأساسية للشيخ عبدالله الجديع، وإن كان ثم إشكال فليسأل فيه.

٣- قراءة كتاب: أنواع التصانيف المتعلقة بالقرآن الكريم، للشيخ مساعد الطيار.

٤- مذاكرة المحرر في علوم القرآن للشيخ مساعد الطيار.

- ٥- مذاكرة مواقع العلوم في مواقع النجوم، للإمام البلقيني.
- ٦- قراءة: مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف، وعلوم القرآن بين الإتقان والبرهان، للشيخ حازم حيدر سعيد.
- ٧- قراءة مناهل العرفان للزرقاني مع تقويم السبت (قراءة سريعة).
- ٨- قراءة الإتقان للسيوطي مع تعليقات الشيخ مساعد الطيار.

أما أصول التفسير:

- ١- قراءة بحث: جهود الأمة في أصول التفسير، للشيخ مساعد الطيار.
- ٢- مذاكرة كتاب: التحرير في أصول التفسير.
- وكتاب فصول في أصول التفسير، للشيخ مساعد الطيار، مع سماع الشرح الصوتي له.
- ٣- مذاكرة: شرح مقدمة في أصول التفسير، لابن تيمية للشيخ مساعد الطيار، والشيخ: محمد عمر بازمول.
- ٤- قراءة علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، للشيخ مساعد الطيار، باعتناء الشيخ أحمد سالم.
- ٥- قراءة رسالة: اختلاف السلف في التفسير، وهي مهمة، للباحث الأخ الشيخ محمد صالح محمد سليمان.
- ٦- قراءة رسالة: قواعد الترجيح، للشيخ الحربي.

ثم تقرأ الكتب التالية:

- ١- إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام من علوم القرآن، وهو كتاب حسن جليل مهم مغفول عنه.
- ٢- الميسر في علم الرسم للشيخ غانم قدوري الحمد.
- ٣- الميسر في علم عد الآي، للشيخ: أحمد خالد شكري.

٤- مقدمات في علم القراءات، للشيخ القضاة وآخرون.

٥- الدراسات الصوتية، للشيخ غانم قدوري.

٦- المجلد الثالث عشر من مجموع الفتاوى.

٧- المحرر في أسباب النزول، للشيخ خالد المزيني.

٨- كتب الشيخ مساعد الطيار.

واستمع للمحاضرات التالية:

١- بداية المفسر.

٢- تاريخ القرآن.

٣- تاريخ التفسير.

٤- مناهج واتجاهات المفسرين، والتعريف بكتب التفسير، ثلاثتهم للشيخ

مساعد الطيار.

(٣)

معالمٌ ومنازلٌ في كتب التفسير

وعلوم القرآن للمعاصرين

من أهم كتب التفسير المختصرة:

١- المعين على تدبر القرآن الكريم، للأستاذ مجد مكّي، وهو كتاب نفيس مغفولٌ عنه.

٢- التفسير الميسر، نخبة من العلماء.

٣- المختصر في التفسير، لمركز تفسير.

وللتعرف على القرآن، والإحاطة بجملة صالحه من علومه، وما تنبغي معرفته عنه:

١- مدخل إلى التعريف بالمصحف الشريف، د. حازم حيدر، (الشاطبي)، من أنفس ما كتب.

٢- المقدمات الأساسية في علوم القرآن، للجديع.

٣- الطريق إلى القرآن، السكران.

٤- بلاغ الرسالة القرآنية، الأنصاري.

٥- هذه رسالات القرآن، الأنصاري.

٦- تدبر القرآن، للسنيدي.

- ومن أهم كتب مركز تفسير:

- ١- مقالات في علوم القرآن، د. مساعد الطيار.
- ٢- بحوث محكمة، د. مساعد الطيار.
- ٣- الاستدلال على المعاني، د. نايف الزهراني، وهو كتاب نفيس.
- ٤- المسائل المشتركة، د. فهد الوهبي.
- ٥- اختلاف السلف في التفسير، د. محمد صالح.

- ومن أهم كتب معهد الإمام الشاطبي:

- ١- الميسر في علم الرسم، د. غانم قدوري الحمد.
- ٢- الميسر في علم عد الآي، د. أحمد خالد شكري.
- ٣- التحرير في أصول التفسير، د. الطيار.
- ٥- المحرر في علوم القرآن، له.

- ومن الكتب المهمة في الدراسات القرآنية عموماً:

- ١- إمتاع ذوي العرفان بما اشتملت عليه كتب شيخ الإسلام من علوم القرآن، وهو كتاب حسن جليل مهم مغفول عنه.
- ٢- مقدمات في علم القراءات، د. القضاة وآخرون (دار عمار).
- ٣- السراج في بيان غريب القرآن للدكتور محمد الخضير.
- ٤- المحرر في أسباب النزول للدكتور خالد المزيني.
- ٥- علوم القرآن بين البرهان والإتقان للدكتور حازم سعيد حيدر.
- ٦- النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز، وهو كتاب مهم جداً.
- ٧- رسم المصحف للدكتور غانم قدوري الحمد.
- ٨- العلمانيون والقرآن الكريم للدكتور أحمد بن إدريس الطعان.

مراكز، وباحثون ينصح بالاطلاع على نتائجهم:

- ١- مركز تفسير .
- ٢- الجمعية السعودية للقرآن وعلومه .
- ٣- معهد الإمام الشاطبي .
- ٤- مؤسسة البحوث والدراسات (مبدع) .
- ٥- الهيئة العالمية للتدبير (تدبر) .
- باحثون ينصح بقراءة كتبهم:
- (١) الشيخ المعلم عبدالحميد الفراهي .
- (٢) د . محمد عبدالله دراز .
- (٣) أ . د . غانم قدوري الحمد .
- (٤) د . عبدالهادي حميتو .
- (٥) د . عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ .
- (٦) د . مساعد بن سليمان الطيار .
- (٧) د . حازم بن سعيد حيدر .
- (٨) د . عبدالرحمن الشهري .

خاتمة

ذلك هو القرآن: الكتاب الكوني العظيم، اقرأه وتدبر، ف وراء كل كلمة منه
حكمة بالغة، وسر من أسرار السماوات والأرض، وحقيقة من حقائق الحياة
والمصير، ومفتاح من مفاتيح نفسك السائرة كرها نحو نهايتها.

فتدبر . . إن فيه كل ما تريد.

ألست تريد أن تكون من أهل الله؟

إذن؛ عليك بالقرآن، اجعله صاحبك ورفيقك طول حياتك؛ تكن من (أهل الله)
كما في التعبير النبوي الصحيح.

وأخيرًا؛ فإن في كتاب الله آية عجيبة، تدلك على الطريق: كيف يبدأ، وكيف
ينتهي؛ تدبر قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ
الْمُضِلِّينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

تمسيك بالكتاب أولاً: وهو الأخذ ببلاغته بقوة، وإقامة للصلاة ثانيًا: وهو
إحسان أدائها والسير إلى الله عبر موافقتها، ثم انطلاق إلى الإصلاح والدعوة إلى
الخير، ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُضِلِّينَ﴾، تلك إذن المدارج الأولى للسالكين.

هذا غاية ما عندي يا صاح عن القرآن، فلا تغتر بما عندي؛ إنه لا يحدثك عن القرآن
إلا القرآن؛ فتدبر . . اقرأه آية فآية، وتدبر . . ثم أبصر! أبصر لنفسك! فإن الإبصار
لا نيابة فيه لأحد عن أحد، ربما رأيت فيها ما لم أر، وأبصرت منها ما لم أبصر^(١)!

والحمد لله رب العالمين

(١) بلاغ الرسالة القرآنية، الأنصاري: (٥٤).